الغزل الكيدى

فى الشعر الأموي

" دراسة تحليلية فنية "

أ. د / على جاد الحق سعيد

أستاذ الأدب والنقد المساعد فى الكلية

المقدمة

في ضوء ما أقوم به – من خلال جهدي المتواضع – من بحوث ودراسات عن تراثنا الأدبي عبر العصور يسرني أن أقدم للقارىء الكريم – هذا البحث الخاص بالغزل الكيدي في الشعر الأموي .

ومما حدا بي إلي دراسة هذا الموضوع ما يلي :

أ – جدة ظاهره الغزل الكيدي وطرافتها في الشعر العربي ، منذ ظهورها في أواخر العصر الجاهلي حتى تطورها وبلوغها أوج الازدهار في العصر الأموي .

ب– التعريف بظاهرة الغزل الكيدي في الشعر العربي ولفت أنظار الباحثين إليها .

ج – إن هذه الظاهرة لم تتم دراستها من قبل – حسب ما اطلعت عليه – دراسة شاملة في بحث مستقل .

د – اختلاف أراء الأدباء والنقاد في تسمية هذا اللون من الغزل وتعدد أسمائه . وأن الدراسات التي قام بها هؤلاء الأدباء والنقاد حول هذا الضرب من الغزل كانت تنصب علي الشاعر دون الشعر .

ومن ثم فقد اتخذت منهجا يقوم علي دراسة الظاهرة والتأريخ لها والبواعث التي دفعت بها إلي ساحة الشعر العربي ، حتى غدت إحدي ظواهره الفنية وتحليل النصوص والغوص في أعماقها وفي عقول الشعر والذين أبدعوا هذا النتاج الشعري الذي زخر به العصر الأموي بصفه خاصة والذي كان منطلقاً للتجديد والتطور وتقوم هذه الدراسة علي الوجه الآتي :

أولا : التعريف بمصطلح الغزل الكيدي عنوان البحث والذي قدمت بين يديه عرضا موجزاً عن مكانه المرآة العربية التي يدور حولها هذا الشعر ، كما عرضت لمنزلة الشعر الذي دار حولها بين فنون الشعر العربي .

ثانيا : بوادر ظهور الغزل الكيدي وبواعثه تحدثت فيه عن بوادر ظهوره والبواعث التي أمدته من رفدها ؛

ثالثاً : الغزل الكيدي قبل العصر الأموي وفيه تتبعث خيوط الغزل الكيدي منذ ظهوره حتي العصر الأموي .

رابعا : الغزل الكيدي قبل العصر الأموي ، وفيه وقفت علي الشعراء الذين أبدعوا هذا النتاج الشعري الذي زخر به العصر الأموي وأصبح يمثل ظاهرة فنيه جديدة .

خامساً : سمات الغزل الكيدي ، وفيه كشفت عن أظهر الخصائص الفنية التي تميز بها الغزل الكيدي .

والله ولي الهدي والتيسير وهو نعم المولي ونعم النصير ،،،،

د/ علي جاد الحق سعيد

أولا : التعريف بالمصطلح :

قبل أن نتناول المصطلحين الواردين في عنوان البحث أعني كلمتي " الغزل " و " الكيدي " وهي التسمية التي آثرتها علي غيرها من المسميات الأخرى التي أطلقها الأدباء والنقاد علي هذا اللون من الغزل وسيأتي بيان ذلك – أعرض في إيجاز لمكانه المرآة عند العرب ومنزلة الشعر الذي دار حولها .

"فالمرآة عند العرب ولا تزال بفضل الإسلام كانت يعدونها جزءاً من عرضهم ، ولم يكن شيء يثيرهم كسبي نسائهم ، وهم بعيد عن الحي ، فكانوا يركبون وراءهم كل وعر ، حتى يلحقوا بهن وينقذوهن ويغسلوا عار سبيهن ، وهو عار عندهم ليس فوقه عار[1] .

ويقول أحمد الشايب : " المرآة لها التوقير والإجلال لنفعها في السلم والحرب ، تضمد الجراح ، وتشجع المقاتلين ، وتنسخ الوبر والصوف ملابس وبيوتا ، وهي ظاهرة جمال ومصدر أنس ، ولذة ومتاع وربة أسرة ، وقائمة علي تربية الأبناء ، لا يجرؤ الشعراء علي الحديث إليها إلا في احترام وإجلال ، يضعونها حيث يضع اليونان آلهتهم ، فيستفتحون بها القصيد محتكمين أو معتذرين أو ملتمسين يلقبونها خير الألقاب كما في قولهم :

يا ربة الدار قومي – غير صاغرة ضمني إليك رجال القوم والقربا
في ليلة من جمادى ذات أنه لا يبصر الكلب في ظلمائها الطنبا[2]

" ومن ثم ندرك سر تمسك الشاعر العربي في القديم وحرصه الشديد علي بدء القصيدة بالنسب واستحضار صورة المرآة ، ونقادنا القدامى لم يغفلوا عن تفسير هذه الظاهرة [3]

ويقول الدكتور الحوفي : إن الرجل العربي قد : " أعز المرآة وأحبها ، وقدم القصيدة بذكرها

وجزع علي هجرها أو ظعنها ، ووقف علي أطلالها ، يندب شجوه ، ويبكي حظه ، ويتذكر ماضيه السعيد ... والرجال يستبسلون في القتال حتى لا ينكسروا وتسبي نساؤهم "[4]

يقول عمرو بن كلثوم في معلقته "[4] [5]:

علي آثارنا بيض حسان نحاذر أن تقسم ، أو تهونا

(١) العصر الجاهلي ص ٧٢ ، ٧٣ د/ شوقي ضيف دار المعارف بالقاهرة الطبعة الثامنة
(٢) بحوث ومقالات ص ٢٣٠ أحمد الشايب مكتبة النهضة المصرية د . ت
(٣) الغزال القصص في شعر ذي الرمة ص ٦٤ للباحث طبع مصر للخدمات العلمية – حدائق القبه بالقاهرة سنه ١٩٩٨م.
(٤) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص٥٠ د/ أحمد الحوفي الطبعة الثالثة .
(٥) إعراب المعلقات العشر ج١ ص٤٣٢ محمد علي طه – مكتبة الوادي جدة الطبعة الثانية سنه ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

ومما يدل علي مكانه المرأة عند العرب إجلال الأزواج لزوجاتهم بمخاطبتهن بخير الألقاب وكني التعظيم ، ونسبة بعض الشعراء إلي أمهاتهم مثل : شبيب بن البرصاء ، وابن ميادة ، ومنظور بن حية وابن زبانة التميمي ، والسليك بن السلكة وغيرهم كثير ، بل انتسبت بعض القبائل إلي الأم مثل : بجيلة ، وخندف ، وطهية نسبة إلي طهية بنت عبد شمس ، ومنها أبو الغول الطهوي من شعراء الحماسة [١]

ويقول جورجي زيدان : " فقد كان للمرآة عندهم رأي ، وإرادة ، وكانت صاحبة أنفة ورفعة وحزم ، فنبغ غير واحدة منهن في السياسة والحرب والأدب والشعر والتجارة والصناعة [٢]

أما عن شعر الغزل الذي دار حول المرآة فيقول عبد الرحمن شكري عنه : " ولقد رأيت بعض القراء لا يفهم منزلة الغزل في الشعر ، إن مزية الغزل سببها أن حب الجمال حب الحياة ، وكلما كان نصيب المرء من العوامل الاجتماعية القوية التي تزجي الأمم إلي التفوق والاستعلاء [٣]

ويقول يحي الجبوري : " أهم الفنون وأبرز الموضوعات وأعلقها بالقلب وأقربها إلي طبيعة الإنسان هو فن الغزل ، ولقد لقي الغزل عناية كبيرة من الشعراء سجلوا فيه عواطفهم وخواطرهم ، تناولوا المرآة فذكروا محاسنها وصفاتها وسحرها ، وما يفعل فيهم من الشوق والحنين ، ولم يحفل العرب بشيء احتفالهم بالغزل ، سواء أكان صادراً عن القلب تفرد له القصائد وتحبر له الأشعار ، أم كان تقليد امستحبا تفتح به المطولات ويستراح إليه بعد رحلة الشعر ، فيوصل به الحديث ويعقد عليه الحوار [٤] .

" فالغزل ألصق الفنون الأدبية بحياة الرجل والمرأة ، ولعله أشهرها وأقربها إلي قلوب الناس جميعاً ، فالمرأة نصف الرجل وتمام عيشه ، وحياته وهنائته ، وهي مبعث الرضا والغضب والمل والألم ، والشقاء والرضاء ، وهي المعين والإلهام ، والجمال والجلال ، فلا غرابة أن يسعي الرجل إلي نيل رضاها في كل حين ... اشترك العربي مع جميع الأمم في التعبير عن هذا الشعور ، حتي ليكاد ديوان الغزل يشكل أكبر الدواوين واعظمها [٥]

ولعل حرص الشاعر العربي علي بدء قصيدة الرثاء بالغزل يفسر تلك الصلة الوثيقة بين مكانة شعر الغزل والحب في الحياة .

أما عن التعريف بمصطلح الغزل : فقد جاء في لسان العرب : الغزل حديث الفتيان للفتيات ، واللهو مع النساء ومغازلتهن ومحاورتهن ومراودتهن ، والتغزل التكلف لذلك [٦] .

---

(١) يتصرف تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي ص٦٣:٦٢ د/ سعد دعبيس دار الثقافة الزمالك – القاهرة سنه ١٩٨٠م.

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج١ ص٣٨ جورجي زيدان طبعة الهلال القاهرة .

(٣) مقدمه ديوان زهر الربيع ج٤ ص٢٩٠ عبد الرحمن شكري دار المعارف بالأسكندرية ١٩٦٠

(٤) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه ص٢٧٩ د / يحيي الجبوري مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة سنه١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

(٥) مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ص١١٥–١١٦ د/ بكري شيخ أمين دار العلم للملايين بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٦م.

(٦) لسان العرب لابن منظور مادة غزل .

أما في اصطلاح الأدباء فيقول أحمد الشايب عن الغزل :" ولعل المعروف الشائع أن الغزل هو الحديث عن المرأة ، وما قد يكون لها من جمال وفتنة ، وما قد تؤثر في نفس الرجل ، وتبعث فيها الخرقة والجوي [١] .

ويعرفه بعض الدارسين بقوله :" إن الغزل تعبير عن صبوة الجنس إلي نحو الجنس الأخر ، وهو شعور فطري غير مدافع ، قد تحف به العفة والاحتشام فتقبلة أكثر النفوس وقد يطرح التحفظ ويصاربه إلي التعبير الشهوي فيكون مجوناً [٢] .

" ومعروف أن عرب الجاهلية كانوا حريصين علي إذاعة هذا الشعور ، فيتوسل إلي قلوب سامعيه بما يجب ويحبون من نسيب بمحبوته وتعداد لمفاتنها ، وسرد مغامراته أحيانا ، ولا يتأذي أحد بما يسمع ولا يجدون فيه مساءة أو خروجا علي الأعراف [٣] .

ولم يشجب الإسلام هذا الطراز من الغزل باعتباره تقليداً جاريا لا يتوجه بالإيذاء إلي أحد مقصود ، حيث استمع الرسول إلي كعب بن زهير بن أبي سلمي ينشد القصيدة التي شهرت بالبردة وكان كعب استهلها بغزل عف بامرأة وهمية أسماها سعاد [٤]

يقول أنور الجندي : " أقر الإسلام حق النفس الإنسانية في المجال الحسى وفق نظام كريم رفيع ، ولم يرفض الإسلام الغرائز والميول الإنسانية ، ولكنه اعترف بها وأقرها وفتح لها أسلوبا من التنفيس والتحقيق دون أن يخرجها عن قيمها الأخلاقية وعن العفاف والشرف به [٥] .

وقد صور الدكتور شكري فيصل هذا المفهوم في براعة حين قال : "لم تكن الحركة الإسلامية منكرة للحياة العاطفية ولا متهجمة لها ، ولم يكن من شانها أن تهمل هذه الحياة العاطفية وأن تجعل منها قوة دافعة نحو الخير والصلاح المشترك [٦] .

وبذلك أجيز البوح العاطفي المجرد شعوراً إنسانيا ساميا جديراً بالتقدير ، علي أنه من عبث القول وتعلاته ، وليس من الجد والتشهير وكشف الستر عن المحصنات الغافلات ، وربما كان مرة بعض النساء أن يذكرن في غزل كبار الشعراء ، وكان منهن من يتعرض لهم في المحافل ، وبخاصة نساء عليه القوم والأسر الحاكمة عمداً بدوافع مختلفة كما حدث في العصر الأموي .

ولكن عندما يتخلي الشاعر في شعره عن هذا الاعتبار ويحيد فيه عن جادة الصواب ، فيأخذ في التشهير وكشف الستر عن المحصنات الغافلات : وينحدر بشعره إلي ما وراء الحشمة

---

(١) بحوث ومقالات ص٢١٩ : ٢٢٠ .

(٢) الأسر والسجن في شعر العرب ص٣١١، ٣١٢ د / أحمد مختار البرزة مؤسسة علوم القرآن دمشق الطبعة الأولي سنه ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

(٣) المرجع نفسه .

(٤) انظر ديوان كعب بن زهير ص ١٢ تقديم د/ حنا نصر الحتي دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الثانية سنه ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م.

(٥) خصائص الأدب العربي ص١٧٤ دار الأعتصام الطبعة الثانية سنه ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

(٦) الغزل بين الجاهلية والإسلام وانظر خصائص الأدب العربي ص ١٧٤ .

من المجون والحديث الفاضح من الشهوات ، فهذا اللون من الغزل لا يقربه الإسلام ويجرم قائله .

ولذلك من شعرائه من قتل ومنهم من حبس علي الرغم مانوه به من تقبل الذوق العربي للغزل قبل الإسلام وبعده ، فتمة شعراء قتلهم غزلهم أو حبسهم .

وهذا اللون من الغزل تعددت آراء الباحثين والدارسين من الأدباء والنقاد في تسميته ، فتارة يطلقون عليه الغزل الهجائي أو الغزل السياسي أو الغزل الكيدي أو الغزل المستعاد أو الغزل الصناعي .

وكان الدكتور طه حسين – أول من أطلق عليه الغزل الهجائي عند حديثه عن الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات فيقول : " وكان يتغزل حينا آخر لا للهو ولا لوصف حب صادق . بل ليبعث بخصوصه السياسين ، إذ يذكر نساءهم بما يحن وبما لا يحن وكان يتخذ النساء وسيلة إلي حرب الرجال ، فكان يحرص الحرص كله علي ألا يؤذيهن أو يذيع بينهن الفاحشة كذباً وزوراً ، بل كان يمضي إلي أبعد من هذا ، كان يريد أن يتحلق هؤلاء النساء وأن يرضيهن عن نفسه ، وأن يحبب إليهن هذا الغزل الهجائي الذي كان يسوء أزواجهن وأبناءهن وعصبتهن بوجه عام [1] .

ويقول أيضاً :" وقد وصل ابن قيس الرقيات من هذا الغزل إلي كل ما يريد فأحفظ بني أمية عليه أشد إحفاظ حتي هدروا دمه ، وأبرءوا ذمتهم ممن أواه ... ولكنه أرضي أم البنين عن نفسه وبلغ مبلغاً حسنا حتي شفعت له وكسبت له أمان عبد الملك [2] ووافقه علي هذه التسمية الدكتور / مصطفي هدارة بقوله : " ويتميز الشعر السياسي الزبيري بوجود العاطفة المتحمسة سواء في الانتصار لقريش أم التهجم علي بني أمية ... كما تميز بهذا اللون من الغزل الهجائي الذي اصطنعه عبيد الله بن قيس الرقيات لهجاء الأمويين عن طريق التغزل الفاضح بنسائهم [3] .

أما الدكتور / شوقي ضيف فيطلق عليه الغزل السياسي فيقول : " فأن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يهاجي عبد الرحمن بن الحكم الأموي ويتعرض لنساء بني أمية ، وكان ممن تعرض لهن رملة بنت معاوية إذ تغزل بها غزلا مفحشا ، وبذلك كان أول من اتخذ الغزل سلاحاً للهجاء السياسي [4]

ويلتقي الدكتور / يوسف خليف مع الدكتور / شوقي ضيف في تسمية هذا الغزل بالغزل السياسي فيقول : " ولم يكتف ابن قيس الرقيات ... انتصاراً لقضيته السياسية بهذا اللون من الشعر السياسي الخالص ، وإنما اتجه إلي آخر ، وهو الغزل السياسي ، الذي يتخذ

---

(١) حديث الأربعاء ج١ ص ٢٤٥ ، ٢٤٦ د/ طه حسين دار المعارف بمصر ١٩٥٤م.

(٢) المرجع نفسه .

(٣) الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ١٥٠ د/ أحمد الحوفي الطبعة الثالثة .

(٤) العصر الإسلامي ص ٢٥٩ د/ شوقي ضيف دار المعارف بمصر الطبعة ١٣

من الغزل وسيلة لخدمة هذه القضية ، وهو اتجاه كان قد سبقه إليه عبد الرحمن بن حسان بن ثابت حين لجت الخصومة بينه وبين يزيد بن معاوية ، فاتخذ من الغزل بأخته رملة وسيلة يغيظه بها [١] .

ويسمية الدكتور / أحمد الحوفي بالغزل الكيدي فيقول :" كان في أخريات العصر الجاهلي ضرب من الغزل تقدم بعض قصائد الفخر والهجاء وهو غزل تمهيدي يصطنعه الشاعر في شريفة أو شريفات خصومه ، وخصوم قومه ، لا عن حب وعاطفه ، بل عن تصنع وتكلف وادعاء ، يريد أن يغيظهم ويشهر بهم ، وهذا الضرب من الغزل الهجائي هو الذي سميته الغزل الكيدي ، فلما جاء الإسلام تواري هذا الغزل ، لآنه يتنافي وتعاليم الإسلام ، ثم ابتعثه في العصر الأموي عبد الرحمن بن حسان ، إذ شبب برملة بنت معاوية [٢] ، ويسميه الأستاذ الشايب الغزل الصناعي ، لأنه لاينطق عن عاطفة ولا يصور ألما ...[٣] .

وهناك من الباحثين من يتردد في تسميته فتارة يسمية بالغزل السياسي فيقول : " أما أن الغزل اتخذ طابعا سياسيا فقد حدث أول ما حدث في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، واستغله بعض الشعراء في معظم العصر الأموي ... وكان غرض الشاعر أن يشيب بنساء السلطان أو الأشراف ليفتضحهم وتلوك ألسنه المنشدين والمغنين أغراضهم ، وكان هذا التشبيب سبه مغيظة تحمل أولي الأمر علي معاقبة الشعراء الخصوم مر العقاب .

ولاشك أن لم يكن للحب أو الجد أدني حظ في هذا الغزل ، بل هو غزل سياسي محض ، وذلك تسمية صالحة لـه ، وهو أدخل في باب الهجاء منه في باب الصبابة والنسيب[٤] .

وتارة أخري يسمية بالغزل المستعار فيقول : " وفي نعت بعض الغزل بالمستعار بعض الغرابة ، وسبب ذلك أن صاحب الغزل لا يريد أن يتغزل بل يريد تشهيراً بأهل المرأة وذوبها وأن يفضحهم بها " [٥] .

وفي نظري أن تسمية الدكتور / الحوفي بهذا اللون من الغزل بالغزل الكيدي أدق وأشمل ولذا آثرتها عنوانا لهذا البحث عن غيرها من التسميات الأخري لاعتبارات عدة منها :

أ ـ إن هذه التسمية تلائم موضوع الغزل ، وخاصة لأنه يتعلق بالمرأة زوجة أو أما أو أختاً أو بنتاً ، ومن المعلوم أن طبيعة الرجل العربي تكمن غيرته علي حريمه وعرضه

ب ـ شدة وقع هذا اللون من الغزل علي الرجل لما فيه من التشهير وكشف الستر عن المحصنات الغافلات بقصد الإغاظة والنيل من الخصوم وبخاصة إذا كان الباعث عليه الخصومة السياسية .

---

(١) تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي ص١٢٧ د / يوسف خليف دار الثقافة بالقاهرة ١٩٧٦م.
(٢) أدب السياسة ص٢٩٧ د / أحمد الحوفي .
(٣) بحوث ومقالات ص٢٩٥ .
(٤) الأسر والسجن في شعر العرب ص٣١٣ ، ٣١٤ .
(٥) المرجع السابق ص٥٧١.

ج –كان الشاعر يرمي من وراء هذا اللون من الغزل التشبيب بنساء السلطان أو الأمراء أو الأشراف ليفتحضهم وتلوك ألسنة المنشدين والمغنيين أعراضهم ، وكان هذا التشبيب سبه مغيظة تحمل أولي الأمر علي معاقبة الشعراء الخصوم مر العقاب .

د – إن هذه التسمية أعم وأشمل فلم يكن في الغالب الباعث علي الغزل الكيدي ثمه خصومات وعداوات سياسية سابقة يصدر عنها ، كما في شعر سحيم عبد بني الحماس وهدبة بن الخشرم وأبي المسور زيادة بن زيد وغيرهم .

ولذا فقد تضافرت بواعث عدة وراء هذا اللون من الغزل منذ عرف طريقه إلي الشعر العربي وهي تتمثل في :

ثانيا :- بوادر الغزل الكيدي وبواعثه :

١- بوادر ظهوره : هذا الضرب من الغزل الذي ذاع وبلغ ذروته في العصر الأموي لم يكن وليد هذه العصر كما يذهب بعض الباحثين ، وأنما ظهرت بوادره منذ أواخر العصر الجاهلي .

يقول الدكتور / أحمد شوقي – :– " كان في أخريات العصر الجاهلي ضرب من الغزل تقدم به قصائد الفخر والهجاء ، وهو غزل تمهيدي يصطنعه الشاعر في شريفة من شريفات خصومه وخصوم قومه ، لا عن حب وعاطفة ، بل عن تصنع وتكلف وادعاء يريد أن يغيظهم ويشهر بهم ، وهذا الضرب من الغزل الهجائي هو الذي سميته بالغزل الكيدي .

فلما جاء الإسلام تواري هذا الغزل ، لأنه يتنافي وتعاليم الإسلام ، ثم ابتعثه في العصر الأموي عبد الرحمن بن حسان ، إذ شبب برملة بنت معاوية [١]

ويقول الدكتور / طه حسين :" هذا الغزل الهجائي – الذي يكاد ابن قيس الرقيات يكون مبتدعه ، خليق بالعناية ، فهو لون من الألوان الفنية التي استحدثها الشعراء المسلمون [٢] .

أما الدكتور / شوقي ضيف – فيقول : " فإن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يهاجي عبد الرحمن بن الحكم الأموي ، ويتعرض لنساء بن أمية ، وكان ممن تعرض لهن رملة بنت معاوية ، إذ تغزل فيها غزلا مفحشاً [٣] .

والذي نميل إليه أن هذا الضرب من الغزل عرف طريقه إلي الشعر العربي منذ العصر الجاهلي وهناك العديد من الشعراء الجاهليين الذين بادروا إلي هذا الضرب من الغزل في شعرهم .وسيأتي بيان ذلك عند الحديث عن الغزل الكيدي قبل العصر الأموي .

٢- بواعث الغزل الكيدي : وتكشف بوادر هذا الضرب من الغزل أن وراءه كانت دواعي كثيرة منها :

---

(١) أدب السياسة ص٢٩٧ د/ أحمد الحوفي .

(٢) حديث الأربعاء جـ ١ ص ٢٤٧ دار المعارف مصر .

(٣) العصر الإسلامي ص٢٥٩ د/ شوقي ضيف دار المعارف بمصر الطبعة ١٣ .

أ. الحروب والأيام :

" لعل أهم مايميز حياة العرب في الجاهلية ، أنها كانت حياة حربية تقوم علي سفك الدماء حتي لكأنه أصبح سنة من سننهم ، فهم دائما قاتلون مقتولون [1]

وأيام العرب وحروبهم كثيرة ، ومن القبائل العربية التي دارت بينها حروب كثيرة وتعرض فيها شعراؤها للتشهير بالنساء لتولك الألسن أعراضهم ، ما كان بين قبيلتي الأوس والخزرج . وما جاء من أحاديث الغزل في المقدمات الشعرية عند حسان بن ثابت لاتخرج في جملتها عن مجال الغزل التمهيدي ، أو الغزل الكيدي ، ومادار بين عبد الله بن رواحة وقيس بن الخطيم ، ويرد الغزل الكيدي علي لسان حسان بن ثابت مراد به الهجاء والنيل من خصومه ، وهذا الغالب علي شعر حسان وأقرانه من شعراء الأوس والخزرج ومن ذلك قول حسان في معرض الفخر بانتصار قومه علي الأوس مشببا بليلي بنت الخطيم أخت الشاعر قيس بن الخطيم [2] :

فقد هاج نفسك أشجانها وعاودها اليوم أديانها
تذكرت ليلي وأني بها إذا قطعت منك أقرانها

ومن ذلك الضرب من الغزل ما قاله قيس بن الخطيم في يوم بعاث ، إذ غاظ عبد الله بن رواحة بالغزل في أخته " عمرة بقصيدة جاء فيها "[3]

أتعرف رسما كاطراد المذاهب تعمرة قفرا غير موقف راكب

فأجابه عبد الله بن رواحه بالرد عليه ومعاملته بالمثل – يتغزل في أخت قيس بن الخطيم – ليلي– فيقول [4]

أشاقتك ليلي في الخليط المجانب نعم فرشاش الدمع في الصدر غالبي

ومن ذلك قول بشر بن أبي خازم الأسدي في يوم النسار بين بني أسد وبني تميم [5]

عفت من سليمي راحة فكثيبها وشطت بها عنك النوي وشعوبها

وفيها يقول :–

فلما رأونا بالنسار كأننا نشاص انيزيا ، هيجتها جنوبها

ثم يقول :

بني عامر إنا تركنا نساءكم من الشل والإيجاف تدفي عجوبها

---

(١) العصر الجاهلي ص٦٢ د/ شوقي ضيف دار المعارف

(٢) ديوان حسان بن ثابت ص.

(٣) ديوان قيس بن الخطيم ص٣٣ تحقيق ناصر الدين الأسد مكتبه العروبة بمصر سنه ١٣٨١هـ – ١٩٦١م.

(٤) ديوان عبد الله بن رواحة ص١٢٣ د/ وليد قصاب – دار العلوم بالرياض سنه ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

(٥) ديوان بشر بن أبي خازم ص ٢٧ تقديم وشرح مجيد طراد نشر دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولي سنه ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

عضار بطنا مستبطنو البيض كالدمي مضربة بالزعفران جيوبها

تبيت النساء المرضعات برهوة تفزع من خوف الجنان قلوبها[1]

" وكان هذا الغزل سببا في هلاك الشاعر أحيانا ، كما حدث لكعب بن الأشرف ، فأنه بكي قتلي بدر وشبب بنساء الرسول ﷺ ونساء المسلمين ، فأمر رسول الله محمد بن مسلمة ورهطا معه من الأنصار بقتله فقتلوه [2].

١ـ الخصومة السياسية والعصبية القبلية : عندما اتخذ الغزل طابعا سياسيا في خلافة معاوية بن أبي سفيان استغله بعض الشعراء في معظم العصر الأموي ، وكانت الخصومات السياسية والعصبية القبلية من وراء ذلك .

وكان غرض الشاعر أن يشبب بنساء السلطان أو الأشراف ليفتضحهم وتلوك ألسنه المنشدين والمغنين أعراضهم . وكان هذا التشبيب سبة مغيظة تحمل أولي الأمر علي معاقبة الشعراء الخصوم أشد العقاب .

" فإن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يهاجي عبد الرحمن بن الحكم الأموي ، ويتعرض لنساء بني أمية ، وكان ممن تعرض لهن رملة بنت معاوية إذ تغزل فيها غزلا مفحشا ... ومعروف أن الأنصار كانوا مغاضبين لبني أمية منذ وقوفهم مع علي في صفين [3]

وبذلك فقد دعت الخصومة السياسية بين الأنصار الأمويين عندما آلت الخلافة إلي الأمويين إلي مثل هذا الموقف ، فتغزل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت " برملة " ابنة معاوية واحنق أخاها يزيد في عهد أبيه .

" ويروي أن يزيد بن معاوية قال معاوية : أما سمعت قول عبد الرحمن بن حسان في ابنتك

قال : وما الذي قال : قال[4] : وهي زهراء مثل لؤلؤة الغواص ميزت من جوهر مكنون .

قال معاوية : صدق : فقال يزيد : قال :

وإذا نسبتها لم تجدها في سناء من المكارم دون

قال معاوية : صدق : فقال يزيد قال : ثم خاصرتها إلي القبة الخضراء تمشي في مرمر مسنون [5]

قال معاوية : كذب .

---

(١) نشاص الثريا : ما ارتفع من الأرض الشل : الطرد . الإجاف سير شديد . العجب : آخر العصعص . العضاريط : الأجراء والأتباع واحها : عضروط . الرهوة ما ارتفع من الأرض . الجنان : الظلمة .

(٢) طبقات فحول الشعراء ص٢٣٨ ، وسيرة ابن هشام ٥٤/٣ .

(٣) العصر الإسلامي ص٢٥٩ د / شوقي ضيف .

(٤) الكامل في اللغة والأدب ج١ ص ١٧٤ لابي العباس المبرد ت ٢٨٥ ه مطبعة الاستقامة بالقاهرة د . ت .

(٥) المسنون : المصبوب علي استواء .

وكان معاوية واسع الحلم أغضي عن شاعر الأنصار لمكانتهم وحرمتهم ، ولكنه لم يغض عن شاعر آخر تغزل بابنته هو : أبو دهبل الجمحي [1] متناوله بسجن وعذاب ومنعه هو وخلفاؤة من بعده من دخول الشام وصرف إلي أقاصي اليمن "[2] .

وتناول الشعراء الأمراء أيضا للعداوة السياسية ، فتغزل شاعر الزبيريين ابن قيس الرقيات فاصطنع الغزل الكيدي بامرأة الوليد بن عبد الملك ، وبنت عبد العزيز بن مروان المعروفة بأم البنين . فأغضب الوليد وأباه وأخاه ، وأحنق بني أمية ، فأهدر عبد الملك دمه ، وتوعد يؤوية ، ولم ينجه إلا شفاعة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ووساطة أم البنين نفسها فصفح عنه عبد الملك ، لكنه حرمه من بيت المال ، ولعل الشفاعة تذرعت بأنه ذكر في قصته الغزلية أنها رؤيا حالم . من هذه القصيدة قولة "[3] ألا هزأت بنا قرشية يتهز موكبها . ثم يقول :

إلي أم البنين متي... يقربها مقربها أتتني في المنام فقلت هذا حين أعتبها

ويقول الدكتور / طه حسين – :" أنه لم يكن يريد أن يسوء أم البنين ولا أن يؤذيها ولا أن يعرضها لمكروه تسمعه أو تلقاه ، بل كان يريد أن يتلطف لها ويتحبب إليها وأن يترل شعره من نفسها مترلة الرضا والإعجاب ..."[4] .

وخصومه ابن قيس الرقيات السياسية لبني امية ونضاله السياسي وفعالاته في نصرة الزبيريين سلبت عقله ، فاتخذ الغزل لا للهو ولا لوصف حب صادق ، وإنما لبعث خصومه السياسيين إذ يذكر نساءهم بما يحسن مالا .

ويؤكد علي هذا الدكتور / طه حسين – بقوله :" وقد وصل ابن قيس الرقيات من هذا الغزل الهجائي إلي كل ما يريد : فأحفظ بن أمية عليه أشد إحفاظ حتي هدروا دمه ، وأبرءوا ذمتهم ممن آواه . ولكنه أرضي أم البنين عن نفسه وبلغ منها مبلغاً حسناً ، حتي شفعت له وكسبت له أمان عبد الملك ..."[5] .

وأيضا تغزل في عاتكة بنت يزيد بن معاوية أمرأة عبد الملك بن مروان في مقدمة قصائدة التي كان يمدح فيها مصعب بن الزبير كقوله في عاتكة "[6] .

أعاتك بنت العبشمية عاتكا أثيبي امرأ أمسي بحبك عالكا
بدت بي في أترابها فقتلتني كذلك يقتلن الرجال كذلكا

(١) اسمه : وهب بن ربيعة من بني جمح وكان شاعر محسناتوفي ٦٣ ه .
(٢) الأسر والسجن في شعر العرب ص ٣١٤ ثم انظر الشعر والشعراءص٣٨٩ ، ص٣٩١ والأغاني ١٤٩/٦ : ١٦٥ .
(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ص ١٢١ وما بعدها تحقيق د / محمد يوسف نجم دار ضادر بيروت ١٣٧٨هـ-١٩٥٨م
(٤) حديث الأربعاء ج١ ص ٢٤٦ .
(٥) المرجع السابق ص٢٤٧ .
(٦) الديوان ص ١٢٨ .

ومن هؤلاء الشعراء أيضا : أبي نمير الثقفي ، فقد تغزل بأخت الحجاج بن يوسف ، وهام علي وجهه في الأرض .

واستغل الشاعر لعرجي هذا السلاح من الغزل أيما استغلال ، عندما ما سجنه عدوه أمير مكة محمد بن هشام المخزومي ، وكان غزله السوط اللازع الذي صبه الشاعر علي خصمه وهو في سجنه حتي مات [١] .

ومن الشعراء الذين جمعوا في عدواتهم للأمراء بين الخصومة السياسية والعصبية القبلية الأحوص "[٢]

يقول أبو الفرج عن الأحوص وغزله الكيدي :" أنه كا يشيب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ، ويتغني في شعره معبد ومالك ويشيع ذلك في الناس ونهي عنه فلم ينته "[٣] .

ويقول عنه الدكتور / طه حسين – فقد كان أمره كأمر العرجي سواء بسواء ، كان العرجي عنيفا فاجراً كارهاً للحكومة هجاء لعامل الخليفة علي مكة ، وكان الاحوص فاسقا ماجنا مخنثا كما سماه عبد الملك بن مروان ، وكان يهجو أشراف الأنصار وقريش ويتغزل بنسائهم ، وكان هذا هو السبب الحقيقي في أنه كان يكره ابن حزم عامل سليمان بن عبد الملك علي المدينة ويهجوه هجاء صريحا قبيحا "[٤] .

٢- التعبير عن لواعج الذات : تقاليد المجتمع البدوي وطبيعة العاطفية في المجتمع القبلي ، وتعاليم الإسلام الدينية والخلقية كل هذا كان يفرض علي أفراد المجتمع التمسك بأهداب الفضيلة ومكارم الأخلاق والمحافظة علي شرف المرأة وعفتها وطهارة ذيلها .

وإذا هدد الغزل أمن المجتمع وتقاليده وعرض بالنساء وجهر بالفحشاء تصدي له الحاكم والمجتمع ...ومن هؤلاء الشعراء الذين عبروا عن لواعجهم الذاتية يلقانا منهم في العصر الجاهلي الشاعر المنخل اليشكري [٥] فكان يشيب بهند أخت عمرو بن هند ولها يقول :

يا هند هل من نائل يا هند للعاني الأسير

وفي ظل هذه اللواعج الذاتية لقي مصرعه ، فقد اتهم بامرأة لعمرو بن هند فقتله عمرو بن هند وكان المنخل جميلا كما يقول ابن قتيبة "[٦] .

---

(١) الأسر والسجن في شعرالعرب ص٣١٤ .

(٢) اسمه : عبد اله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح ، فهو حفيد صحابي جليل حمي الدبر عاصم بن ثابت .

(٣) الأغاني ٤٨/٤ وانظر الأسر والسجن في شعر العرب ص ٣١٥ .

(٤) حديث الأربعاء ج١ ص٢٦٠

(٥) اسمه : المنخل بن عبيد بن عامر من بني يشكر وقيل ابن مسعود شاعر جاهلي قديم وهو الذي سعي بالنابغة إلي النعمان في أمر " المتجردة

(٦) الشعر والشعراء ص٢٤٠ لابن قتيبة تحقيق د / مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت .

ومن أجمل شعره رائيته المعروفة ومطلعها :

أن كنـــت عـــاذلتي فســـيري نحـــو العـــراق ولا تحـــوري

قالها في هند بنت عمرو بن هند ، وبلغ خبرها عمرا ، فأخذ المنخل فقتله ، وكان المنخـــل يتـــهم بالمتجردة ، امرأة النعمان بن المنذر وكان للنعمان منها ولدان الناس يقولون أنهما من المنخل ، وهو القائل في النابغة حين وصف المتجردة في قوله :" ما يعرف هذا إلا من جرب " [١]

ويبدو أن التعبير عن لواعج الذات تعبير صادم في صدر الإسلام مراقبة السلطة الشديدة للأخلاق والسلوك ، فاتخذ عمر بن الخطاب موقفا حازما من الغزل الذي لايتحرج في الإعلان عن رغبات النفوس في الجنس الآخر ، وان كان غير بذيء النبرة والغرض ومسارعته إلي معاقبة إحدي النساء المتغزلات أوضحت اتجاه السلطة وموقفها "[٢]والمرأة المتغزلة هي الزلفاء " .. وكانت شاعرة تحسن الغناء ، فانطلقت ذات يوم تفصح عن ذاتها تتغزل بفارس ذائع الصيت بطولة وجمالا باهراً ، نزل المدينة فأصبح حديث نساء ورجل أحلام ، وكان شعرها بلا شك يجســـد الرغبـــة . قـــال الواقدي: سمع عمر نشيد شعر في دار ، فوقف فإذا الذلفاء تنشد وتقول : [٣]

هل من سبيل إلأي خمر فأشـــربها أم هل سبيل إلي نصر بن حجاج

إلي فتي ما جد الأعراق مقتبـــل تضيء صورته في الحالك الداجي

نعم الفتي في ظلام الليل صورته لبـــائس أو لملـــهوف ومحتـــاج

وألفاه عمر بريئا فأعادة وأصلح حاله ، اما الذلفاء فاعتذرت وتاولت غزلها فقبل عمر علانيتـــها وأطلق سراحها [٤] .

ويقول صاحب عيون الأخبار [٥] وهذا نصر بن حجاج بن علاط البهزي ، وكان مـــن أجمل الناس فدعابه عمر فسيره إلي البصرة – فأتي مجاشع بن مسعود السكي فدخل عليـــه يومـــاً وعنده امراته شميلة [٦] وكان مجاشع أميا ، فكتب نصر علي الأرض : أحبك حبا لو كان فوقـــك لأظلك ، أو تحتك لأقلك ، فكتبت هي : وأنا والله كذلك ، فكب مجاشع علي الكتابـــة إنـــاء ثم أدخل كاتبا فقرأة ، فأخرج نصراً وطلقها . فقال نصر بن حجاج :

ومالي ذنب غـــير ظـــن ظننتـــه وفي بعض تصديق الظنون آثـــام

لعمـــري إســـيرتني أو حـــرمتني وما نلـــت ذنبـــا إن ذ الحـــرام

---

[١] المرجع نفسه .

[٢] الأسر والسجن في شعراء العرب ص٣١٩ ، ٣٢٠ .

[٣] فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان ص٨٠ للواقدي طبعة وليم ناسو ١٨٦٠ .

[٤] الأسر والسجن ص٣٢٠ .

[٥] عيون الأخبار ج٤ ص٢٤ ، ٢٥ .

[٦] شميلة : هي شميلة بنت جنادة بن بنت أبي أزهر الزهرانية كما في الغاني ج١٩ ص١٤٣ طبعة بولاق . وانظـــر عيون الأخبار ج٤ كتاب النساء ص٢٤ ، ٢٥ .

أإن غنت الـذلفاء لـيلا بمنيـة وبعض أماني النساء غـرام[1]
ظننت بي الظن الذي ليس بعـده بقاء ومالي في الندي كلام[2]
فأصبحت منفيا علي غـير ريبـة وقد كان لي بالملكتين مقـام
ويمنعـي ممـا تمنـت تكرمـي وآباء صدق سالفون كـرام
ويمنعهـا ممـا تمنـت حياؤهـا وحال لها مع عقـه وصـيام
وهاتان حالان فهل أنت راجعـي وقد خف مني كاهل وسنام[3]

وعلق علي هذا الشعر محقق عيون الأخبار بقوله : وانا أحسب هذا الشعر مصنوعاً "[4] وسمع عمر بن الخطاب قائلا بالمدينة يقول :

أعوذ برب الناس من شر معقـل إذا معقل راح البقيع مرجلا

يعني معقل بن سنان الأشجعي وكان قدم المدينة ، فقال له عمر : الحق ببواديتك [5] وسواء أكـان هذا الشعر مصنوعا أو أصيلاً ، فإنه يؤكد مراقبة السلطة الشديدة للأخلاق والسلوك وأن التعبير عن لواعج الذات يصادم تلك المراقبة في عصر صدر الأسلام كما يؤكد علي موقف عمـر بـن الخطاب – رضي الله عنه – الحازم من الغزل الذي لايتحرج في الإعلان عن رغبات النفـوس في الجنس الآخر ، وإن كان غير بذيء النبرة والغرض ومسارعته إلي معاقبة قائله :

٤-الرغبة في التشهير بأهل المرأة وذويها : من الواضح أن الغزل الكيدي لاصلة له بالقلب إطلاقاً ، بل هو هجاء استعار رداء الغزل وهنا أطلق عليه بعض الدراسين الغزل المستعاد ، غرضه التشهير بالخصوم وفضحهم لتلوك الألسنة أعراضهم ، وتتغني بها في المجالس ، والتشـهير بأهل المرأة وذويها وان يفضحهم بها ." وكان أهل البادية يتأذون عن الغزل ، ولو كان عـذريا ، وقد ينتهي التعريض بين أهل البادية في التشبيب إلي فتن وجرائم قاتلة ، وقيل أن الشـاعر ابـن الدمينة قتل رجلاً من قومه شبب بامرأته ثم قتل به [6] .

و ما حدث بين هديه بين الخشرم ، وأبي المسور زيادة بين زيد ، وهما مقبلان في ركب من قومهما ، فكانا يتعاقبان السوق بالإبل ، ومع هدية أخته فاطمة ، فنزل زيادة فارتجز وقال :

عوجي علينا واربعـي يافاطمـا مادون مايري البعير قائماً[7]

---

(١) الذلفاء : من الذلف ، وهو صغر الأنف واستواء طرفه .
(٢) الندي : النادي الذي يجتمع فيه القوم ويتحدثون .
(٣) خف مني كاهل وسنام : كناية عن ضعفة وتقدم سنه .
(٤) عيون الأخبار ج٣ ص٢٠ كتاب النساء لابن قتيبة علق عليه وشرحه د / مفيد ميحة دار الكتـب العلميـة بيروت لبنان الطبعة الثالثة ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م
(٥) المرجع السابق ج ٣ ص ٢٥ .
(٦) الأغاني ١٥/ ١٤٦ : ١٥٦ وانظر الأسر والسجن في شعر العرب .
(٧) عوجي : عرجي وميلي . اربعي : قفي مابين مناخ البعير إلي قيامه .

ألاتـــرين الـــدمع مـــني ســـاجما حذار دار منك أن تلائمـــا
فـــأطردت مطـــردا عراهمـــا فعما تبذ القطف الرواسما[1]

فغضب هدية حين سمع زيادة يرتجز بأخته ، فنزل فرجز بأخت زيادة وكانت تدعي أم حازم .

لقـــد أراني والغـــلام الحازمـــا نزجي المطي ضمرا سواهما[2]
مـــتي تظـــن القلـــص الرواسما والجلة الناجيـــة العياهمـــا[3]
يـــبلغن أم حـــازم وحازمـــا إذا هبطن مســـتحيرا قاتمـــا
ورفـــع الهـــادي لهـــا الهماهمـــا ألاترين الحزن مـــني دائمـــا
حـــذار دار منـــك أن تلائمـــا والله لا يشفي الفؤاد الهائمـــا
تماجـــك اللبـــات والمآكمـــا ولا اللمام دون أن تلازمـــا
ولا للشـــام دون أن تفاهمـــا وتعلـــوا القـــوائم القوائمـــا

.....الخ [4] . فتشاتما فلما وصلا إلي ديارها جمع زيادة رهطا من أهل بيته فبيت هدية فضر به علي ساعده وشج أباه خشرما وقال زيادة في ذلك [5]

شججنا خشرما في الرأس عشـــرا ووقفنـــا هديبـــة إذ هجانـــا
تركنـــا يالعوينـــد مـــن حســـين نساء يلتقطن بـــه الجمانـــا

وقال هدية :"[6]

فـــإن الـــدهر مؤتنـــف جديـــد وشر الخيل أقصرها عـــذابا
وشر الناس كـــل فـــتي إذا مـــا مرته الحرب بعد العصب لانا

ولاشك في أن المسئولية الأخلاقية والمحاماة عن الأعراض كانا يقفان سدا منيعا في وجـــه هـــؤلاء الشعراء الذين يستغلون سلاح الغزل الكيدي للتشهير بأهل المرأة وذويها .

٥-الاعتداد بالنظام الطبقي في المجتمع الأموي : كان تركيب المجتمع الطبقي عند العرب من أحرار وأموال وعبيد ، يعد الخلاف بين الطبقات ولحقد الدنيا علي العليا .

---

(١) المطرد : تتابع السير . العراهم : الشديد . الرواسم : التي تسير الرسيم وهو سير سريع والقطف جمع قطوف وهي الضيقة المشمي .

(٢) السواهم المتغيرة من السفر . القلص : جمع قلوص : وهي الشابة من الإبل والجلة جمع جليل وهي الكبار مـــن الإبل : الناجية : السريعة .

(٣) العياهم : جمع عيهم وهو الشديد المتحير : الطريق الذي يأخذ في عرضه مغاذه . القـــائم : كـــثير الغبـــار . الهماهم : جمع همهمة وهي الصوت . الماكم : جمع مأكمة وهي اللحمة التي رأس الورك .

(٤) مختار الأغاني ج٨ ص ١٩٣ ، ١٩٤ اختيار ابن منظور تحقيق حسين نصار . الدرا المصرية للتأليف والنشـــر القاهرة ١٣٨٦ مطبعة عيسي الحلبي بالقاهرة . ١٩٦٦م.

(٥) الأغاني ج٢١ ص ٢٦٥ وانظر الشعر والشعراء ص٤١٦ .

(٦) الأغاني ج٢١ ص٢٦٦ وانظر الشعر والشعراء ص ٤١٧.

وقد عقد ابن عبد ربه فصلافي العقد الفريد ، صور فيه العرب يسيئون في المعاملة إلي الموالي لعصر بني أمية إساءة بالغة "[1] .

وتمثل هذا الحقد الجارح في غزل سحيم عبد بني الحسماس الذي سجن وعذب ثم قتل به "[2] .

قال "الثعالبي " قال الجاحظ : ثلاثة من العبيد قتلوا بسبب العشق : منهم يسار الكواعب ، ومنهم عيد بني الحسماس ، ومنهم وضاح اليمن .."[3]

وكان سبب قتله تشبيبه الفاضح ، الذي يزعم فيه تمكنه من الشريفات ، لا يقول ذلك إلا انتقاما من أسياده ، وكانت اشعاره تستيركوا من سخطهم عليه علي علمهم بتكذيبه وبراءة نسائهم ، ومن ذلك قوله وقد أكثروا ضربه [4]

أن تقتلوني فقد أسخنت أعينكم وقد أتيت حراما وماتظنونا

وقد ضممت إلي الأحشاء جارية عذب مقبلها مما تصونونا

وقوله :[5]

شدوا وثاق العبد لا يفلتكم إن الحياة في الممات قريب

فلقد تحدر من جبين فتاتكم عرق علي متن الفراش وطيب

وأبعد في هذا الأسلوب سحيم عيد بني الحسماس في الهجوم علي أعراض القوم الذين كان فيهم ، فكان يصور الموافق ليغيظ المجتمع الذي ازدري لونه واسترقه وحرمه حريته وسخره لأغراضه ، فانبري يمزق بلسانه الأعراض في صور الفحشاء الفاضحة حتي قتل .[6]

" وقال إن :" عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – أمر بقتله لأبيات فاحشة نظمها ، وقال : أن بني الحسماس قتلوه لتغزله بنسائهم ، وذكر بعض الرواة أنهم حفروا له أخدودا ووضع فيه ، وألقي عليه الحطب ثم أحرق "[7] .

وهكذا كانت هذه الدواعي وراء الغزل الكيدي منذ بدأت بوادر ظهوره في العصر الجاهلي ، ثم ذاع وانتشر في العصر الأموي ، وأسهم في بنائه عدد كبير من الشعراء في الجاهلية ، والإسلام ، ونقلته إلينا كتب الأدب والسير والأخبار .

---

(1) العقد الفريد ج٣ ص ٤٠٣ وما بعدها وانظر العصر الإسلامي ص ٢١١ د / شوقي ضيف .

(2) الأسر والسجن في شعر العرب ص٣٢٣ .

(3) ثار القلوب ص ١٠٩ للثعالبي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مصر ١٩٦٥ .

(4) ديوان سحيم ص٥٩ تحقيق عبد العزيز الميمني القاهرة ص ١٩٦ .

(5) المصدر السابق ص ٦٠ .

(6) الأسر والسجن في شعر العرب ص ٥٧١ .

(7) تاريخ الأدب العري تأليف بروكلمان ترجمة عبد الحليم النجار ص ١٧١ وانظر تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي ص ١٢٢ د/ سعد دعبيس دار الثقافة – القاهرة .

ثالثا : الغزل الكيدي قبل العصر الأموي:

أوضح العرض المتقدم عن بوادر ظهور الغزل الكيدي وبواعثه ، أن هذا الضرب من الغزل ظهر في أخريات العصر الجاهلي ، حيث كانت تقدم به بعض قصائد الفخر والهجاء ، وهو غزل تمهيدي يصطنعه الشاعر في شريفة من شريفات خصومه وخصوم قومه ، ولم يكن يصدر عن حب وعاطفة ، بل عن تصنع وتكلفوا وادعاء ، يريد به قائله أن يغيظ ويشهر بالخصوم وفي بعض الأحيان يكون الباعث عليه التعبير عن اللوائح الذاتية ، أو أن يحس الشاعر بوضاعة حاله وعبوديته وازدراء المجتمع له .

ويعد الشاعر المنخل اليشكري [1] من أوائل الشعراء الجاهليين الذين بادروا إلي هذا اللون عن الغزل ، حيث كان يشبب بهند بنت عمرو بن هند ولها يقول [2] :

ياهند هل من نائل ياهند للعاني الأسير
وأحبها وتحبني ويحب ناقتها بعيري

وبلغ خبرها " عمرا" فاخذ المنخل فقتله ، وكان المنخل يتهم بالمتجردة زوج النعمان بن المنذر وكان للنعمان منها ولدان كان الناس يقولون إنهما من المنتخل .. وكان أيضا يتهم بإمرأة لعمرو بن هند ، وكان جميلاً كما يقول ابن قتيبة .. وقتله عمرو بن هند ، وقال قبيل قتله يستثير قومه لأخذ بثأره [3] .

طل وسط العبادة قتلي بلاجر م وقومي ينتجون السخالا
لارعيتم بطنا خصيبا ولا زر تم عدوا ، ولا رزاتم قبالا[4]

وتعزو بعض الروايات فقتل طرفه بن العبد إلي تغزله يوما بأخت عمرو بن هند ، وقد يرزت له وهو ينادمه علي شراب ، فرأي طرفه ظلها في الجام الذي في يده فقال :[5]

ألا يأبي الظبي ال ذي يبرق شنفاه
ولولا الملك القا عد قد ألثمني فاه

فحقد عليه وقد حبس طرفة بن العبد في حصن في البحرين وفيه قتل "[6] .

---

(١) هو النخل بن عبيد بن عامر من بني يشكر وهو قديم جاهلي .

(٢) الشعر والشعراء ص ٢٤١ .

(٣) المرجع السابق ص ٢٤٠ وانظر تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي ص ١٢١ ، ١٢٢ د / مسعد دعبيس دار الثقافة – القاهرة .

(٤) طل : معني أهدر ولم يؤخذ بثأرة . السخال : ولد الشاة الواحدة سخلة . رزاتم : نقصتم . والقبال بالكسر : زمام النعل .

(٦) ديوان طرفة ص١٣ وانظر إعراب المعلقات العشر ١/ص١٧٣ محمد الدرة مكتبة الوادي جدة الطبعة الثانية ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

(٧) ديوان طرفة ص٤٨ وانظر الشعر والشعراء ص٩٧ تحقيق د / مفيد قميحة .

ومن قبيل الغزل الكيدي ما قاله النابغة الذبياني في " المتجردة " امرأة النعمان ابن المنذر في قصيدته التي أولها : من آل مية رائح أو مغتد ... الخ [1] .

فوصف فيها ما يجوز ما لا يجوز .. فلما سمع المنخل اليشكري هذا الشعر قال للنعمان ما يستطيع أن يقول مثل هذا الشعر إلا من قد جرب فوقر ذلك في نفسه ، وبلغ النعمان ذلك فخافه فهرب إلي غسان ....[2].

وكانت أيام العرب وحروبهم نافذة أطل من خلالها الغزل الكيدي واتخذه الشعراء في مقدمه قصائد الفخر والهجاء جسرا ومن قبيل هذا الغزل ماصدر عن كل من قيس بن الخطيم وعبد الله بن رواحة في الحروب التي دارت بين الأوس والخزرج قال قيس بن الخطيم شاعر الأوس في يوم بعاث [3] يتغزل بعمرة أخت عبد الله بن رواحة .

أتعرف رسما خاطرا والمذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب
ديار التي كادت ونحن علي مني تحل بنا لولا نجاء الركائب
تبدت لنا كالشمس تحت غرامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب
ولم أرها إلا ثلاثا علي منى وعهدي بها عذراء ذات ذوائب

وقد بدأ قيس قصيدته التي يفتخر فيها بقومه بهذه المقدمه الغزلية الذي يتغزل فيها بعمرة أخت عبد الله بن رواحه وأم النعمان بن بشير ، وقد ورد ذكرها في شعره أكثر من مرة لإغاظة عبد الله بن رواحة والتشهير بأخته ، وكعادته بدأ في غزله معتدا بشخصيته يدل علي من يعشق ، فقد فتن كثيرا من أمثالها وحملهن علي الصبوة .فأجابه عبد الله بن رواحة بالرد عليه ومعاملته بالمثل- يتغزل في أخت قيس بن الخطيم ليلي – كما شبب ابن الخطيم بعمره أخت عبد الله بن رواحة فيقول :[1]

أشافتك ليلي في الخليط المجانب نعم فرشاش الدمع في الصدر غالبي
بكي اثر من شطت نواه ولم يقف لحاجة محزون شكا الجر ناصب
لدن غدوة حتي إذا الشمس عارضت وراح له من همه كل عازب
تبين فإن الحب يعلق مدبرا قديما إذا ماخلة لم تصاقب[2]

---

(١) الديوان ص ٣٨ .

(٢) الشعر والشعراء ص ٨١ .

(٣) ديوان قيس بن الخطيم ص٣٣ تحقيق ناصر الدين الأسد مكتبة العروبة مصر ١٣٨١هـ – ١٩٦١م .

(٤) ديوان عبد الله بن رواحة ودراسة في سيرته وشعره ص١٢٣ د / وليد قطاب دار العلوم بالرياض الطبعة الأولي : ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

(٥) الخليط : المخالط . والصديق . المجانب :المبتعد . شط : بعد النوي : الدار والتحول من موضع لآخر . عارضت : من عارضه في السير إذ اساء حياله . راح : من الرواح وهو العشي العازب : البعيد . تصاقب : تقارب وتواجه .

والشاعر عبد الله بن رواحه في هذه المقدمه الغزلية مفتون بصاحبته ، يشوقه بعدها ، ويؤلمه رحيلها حتي تتردد ودموعه في صدره ، ويظل يبكي خلفها وهي راحلة مبتعدة . ولقد ظل يبكي طوال اليوم من غدوة الشمس حتي رواحها ، وتجمعت فوق صدره جميع همومه البعيدة ، ولكن سرعان ما يكف عن هذا الذي هو فيه ، فيدعو نفسه إلي التنبه والتيقظ – فالحب يدبر إذا لم يجد حبيبا مصافيا وخليلا مصاقبا قريبا .

وكثيراً ما اتخذ الشاعر الجاهلي هذا اللون من الغزل الكيدي في مقدمة قصائده جسرا يعبر به إلي موضوع آخر أو غرض آخر كالفخر والهجاء ، فيتسني له ذكر القوة وتحدي الأعداء والخصوم ، واستباحة الحريم ، كما في قول بشر بن أبي خازم الأسدي في الفخر بانتصار بني أسد وحليفتها بني حنبة علي بني عامر وحليفتها بني غيم في يوم الفساد [1]

عفت من سليمي رامة فكثيبها وشطت بها عنك النوي وشعوبها

وفيها يقول :

فلما رأونا بالفساد كأننا نشاص الثريا ، هيجتها جنوبها

ثم يقول : بني عامر ، إنا تركنا نساءكم من الشل والإيجاف تدمي عجوبها

عضار يطنا مستبطنوا البيض كالدمي مضرجة بالزعفران جيوبها

تبيت النساء المرضعات برهوة تفرغ من خوف الجنان قلوبها [2]

والشاعر في هذه الأبيات بصف نتيجة المعركة ، فيري النساء اللاتي تصحبن القوم ، وقد آلت إلي سباسبا ، لذا فهو بعد أن كان يبدي حرصا علي ظعائن قبيلته ، تراه يعكس الآية عندما تكون هذه الظعائن للأعداء .

ويبدو التشنيع هنا تشنيعا عنيفا لإغاظة القوم ، ففيه ذكر للسبي واستباحة للحريم ، تلك التي لم تكن عن تصيب الأصراء ، بل كانت من نصيب الخدام " العضاريط " الذين كانوا يرافقون أسد ، وقد تكررت الإشارة إلي نساء عامر وغيم في موضع آخره في شعره [3]

وكم من مرضع قد غادروها لهيف القلب كاشفة القناع

والشاعر يتمادي في التشنيع علي نساء أعدائه ويبالغ فلنساء المرضعات المفجوعات جسرن عن وجوههن من الذعر ، وهن ينادين رجال قومهم بإلحاح للعودة إلي القتال ، لأنهم تركوهم للضياع والسبي .

---

(١) ديوان بشر ص ٢٧ تقديم وتحقيق مجيد طراد دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الولي سنه ١٤١٥هـ – ١٩٩٤م.

(٢) نشاص الثريا ما ارتفع من الأرض . الشل : الطرد ، الإيجاف : سير شديد . والعجب : آخر العصعص . العضاريط : الأجزاء والأتباع واحدها عضروط . الدهوة : ما ارتفع من الأرض وانخفض . الجنان : الظلمة . وقيل سواد الشخص .

(٣) الديوان ص٨٨ .

وإذا كانت أيام العرب وحروبهم قبل الإسلام نافذة أطل من خلالها الغزل الكيدي في الشعر الجاهلي ، فإن التعبير عن لواعج الذات كان باعثا علي إبرازه أيضا في شعر هذا العصر ، ولم يقف التعبير عن لواعج الذات عند الشعراء الرجال فحسب وقد سبقت الإشادة إلي ذلك وإنما بدا ذلك في شعر النساء في العصر الجاهلي ، ومن ذلك ما قالته ضاحية الهلالية ، وقد أحبت رجلا اسمه هلال [1] :

وإني لأنوي القصد ثم يردني عن القصد ميلات الهوي فأميل
وما وجد مسجون بصنعاء موثق لساقيه من حبس الأمير كبول
وما ليل مولي مسلم بجديرة بعد ما نام العيون عوبل

هذا قليل من كثير مما جاءت به قرائح الشعراء من الغزل الكيدي في العصر الجاهلي .

أما في عصر صدر الإسلام ، فقد توارى هذا الغزل ، لأنه يتناقي مع تعاليم الإسلام وعندما بدأ شيء من ذلك الغزل تصدي له الرسول ﷺ وعاقب عليه بالقتل كما حدث لكعب بن الأشرف .

" وكان هذا الغزل الانتقامي سببا في هلاك الشاعر أحيانا كما حدث لكعب بن الأشرف فإنه بكي قتلي بدر شبب بنساء الرسول ﷺ ونساء المسلمين فأمر رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة ورهطا معه من الأنصار بقتله فقتلوه "[2]

كما تصدي عمر بن الخطاب رضي الله عنه – واتخذ موقفا حازما من الغزل الذي لايتحرج في الإعلان عن رغبات النفوس في الجنس الآخر ، وموقفه من الشاعرة الذلفاء ومعقل بن سنان الأشجعي قد سبقت الإشارة إليه .

ومن هؤلاء الشعراء الذين جري علي ألسنتهم هذا الضرب من الغزل عبدسحيم بني الحمساس ، وكان يكثر من ذكر نساء بني الحمساس في شعره ، ويصرح بإتيانهن فتهدود وحملوه إلي أمير المدينة فسجنه وجلده ، ولما عادوا به عاود ما كان منه التشبيب الفاضح ، فحبسوه عندهم وعالجوه بالعقوبة ، فلم يرعو فقتلوه أو قذفوة بالنار[3] .

وفي شعره وأخباره ما يدل علي انه كان ماجنا يتغزل بالنساء ويعايشهن ، ولأنه عبد أسود فقد كان النساء يتجرأن علي معاينته ، ولا يجدن في ذلك حرجا – وفي شعره ضروب من

---

[1] آمال المرتض ٢/٢٤٣ وانظر معجم الأديبات الشواعر ص٣٠٧ محمد الحسن الحموي دار الثقافة العربية بيروت الطبعة الأولي : سنه ١٤١٦هـ – ١٩٩٦م.

[2] طبقات فحول الشعراء ص٢٣٨ وانظر سيرة ابن هشام ٣/٥٤ لابن هشام .

[3] طبقات فحول الشعراء ص١٥٦ لابن سلام وانظر الأسر والسجن في شعر العرب ص٣٢٣ .

الغزل الماجن المكشوف ... ويكثر في شعره من تصوير المغامرات الغرامية ، وأن المرأة علي الرغم من خوفها وتحفظها ، فهي تطيعه وتستجيب له ، وهي تحذره هما يضره أهلها لـه لـو عرفـوا سرهما [1] .

وماشية مشي القطاه اتبعتـها من الستر تخشي أهلها أن تكلما
فقالت : صه ياوبح غيرك إنني سمعت حديثا بينهم يقطر الـدما
فنفضت ثوبيها ونظرت حولها ولم أخش هذا الليل أن يتصـرما
أعفني بآثار الثيـاب مبيتـها وألقط رضا من وقوف تحطمـا

ولاشك أن مغامرات الشاعر هذه – وهو – العبد الأسود – لايمكن أن يمكن أن تكون حقيقية ، بل هي أحلام من أحلام اليقظة ، وتخيلات وتمنيات .. بدليل أنه يحس بوضاعة حاله ، وقبح وجهه ودمامة خلقه ، وعبوديته ، فقد كان سحيم أسود قبيح الوجه معلطاً[2] ويقر أنه شخص مزدري في مجتمعه ، وكذلك هو مزدري من النساء خاصة ، يقول [3]:

أشارت بمدراها وقالت لتربهـا أعبد بني الحسماس يزجي القوافيا
رأت قتبارثا وسـحق عبـاءة وأسود ما يملك النـاس عاريـا
يرجلن أقواما ويتـركن لمـتي وذاك هوان ظاهر قـد بـداليا

وكانت نهايته في حدود سنة أربعين من الهجرة ، وقيل : بل قتل في خلافة عثمان بن عفان ، وكان عمره حوالي الأربعين عاما[4] .

ولاشك أن الحافظ علي الأخلاق والمحاماة عن الأعراض إخلاصا أو نزولا لصوت الشرع كان الداعي لما أصاب سحيم من العقاب من جراء غزله .

رابعا : الغزل الكيدي في العصر الأموي :

ترسم شعراء الغزل الكيدي في العصر الأموي خطا ونهج شعراؤه قبل هـذا العصـر . ولعل هذا مما حدا بالدكتور / طه حسين إلي القول : " هذا الغزل الهجائي الذي يكاد ابن قـيس الرقيات يكون مُبتدعه خليق بالعناية ، فهو لون من الألوان الفنية الجديدية التي استحدثها الشعراء المسلمون "[5] .

---

(١) الأغاني ٣١١/٢٢ وانظر محن الشعراء والدباء ص٥٠ وما بعدها يتصرف د / يحي الجبـوري دار الضـرب الإسلامي الطبعة الأولي : ٢٠٠٣م. بيروت .

(٢) معلط : أي موسوم بالعلاط والعلاط : خطوط تجعل سمة في عنق البعير .

(٣) الديوان ص٣٤ .

(٤) ديوان محيم ص٥٩–٦٠ أسماء المغتالين ص٢٧٢ لابن حبيب محمد بن حبيب الهاشمي ت ٢٤٥ هـ تحقيق عبد السلام هارون مصر سنه ١٣٧٤هـ وانظر محسن الشعراء والأدباء ص٥٤ .

(٥) حديث الأربعاء ج١ ص٢٤٧ .

ويصف الدكتور / الحوفي عبارة طه حسين السابقة بالدقة ، نظراً لأنه لم يحدث تطور في هذا اللون من الغزل منذ ظهورة في العصر الجاهلي .

حيث يقول :" وحينما أصف عبارة الدكتور / طه حسين – بالدقة ، فإنني أعي ما تحتمله هذه الكلمة من معني ، لأن ابن قيس الرقيات لم يكن مبتدع هذا الغزل ، ولكنه يوشك أن يكون مبتدعه ، إذا نظرنا إلي أنه اصطنعه مقدمة لقصائد المدح وقد كان سابقوه يصطنعونه مقدمة قصائد الفخر والهجاء ، ثم إذا راعينا أنه صور في غزله ما زعم أنه حدث في أحلامه ورؤاه ، علي حين سابقيه قضوا في غزلهم أحداثا زعموا انها حقائق واقعيه ليست من الأحلام في شيء[1]

وهؤلاء الشعراء السابقون الذين جدو ابن قيس الرقيات الذي يتمثل في الخصومه السياسية خلاف ما كان عليه عند من سبقوه فكان الباعث عليه الحروب والأيام والعصبية القبلية فهما إلي الفخر و الهجاء أحوج .وفي العصر الأموي اتخذ هذا اللون من الغزل طابعا سياسيا ، فقد حدث أول ماحدث في خلافة معاوية بن أبي سفيان ، واستغله بعض الشعراء في معظم هذا العصر ، وكانت الخصومات السياسية والعداوات القبلية من وراء ذلك ، وكان غرض الشاعر أن يشيب بنساء السلطان أو الأشراف ليفتضحهم ، وتلوك ألسنة المنشدين والمغنيين أغراضهم ، وكان هذا التشبيب سبة مغيظة تحمل أولي الأمر علي معاقبة الشعراء الخصوم مر العقاب .ولم يكن للحب أو الوجد أدني حظ في هذا الغزل ، بل هو غزل كيدي ، وهو أدخل في باب الهجاء منه في باب الصبابة والنسيب .ودعت الخصومة بين الأنصار والأمويين عندما آلت الخلافة إليهم إلي بعث الغزل الكيدي وإحيائه ، فتغزل عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بابنة معاوية وأحنق أخاها يزيد في عهد أبيه إذ يقول [2]:

صاح حيا إلا له أهلاو دارا عند أصل القناة من جيرون
عن يساري إذ دخلت من البا ب كنت خارجا فيميني
فبتلك ارتمنت بالشام حتي ظن أهلي مرجمات الظنون
وهي زهراء مثل لؤلؤة الغوا ص ميزت من جوهر مكنون
وإذا نسيتهما لم تجدها في سناء من المكارم دوني
ثم خاصرتها إلي القبة ال خضراء تمشي في مرمر مسنون[3]

ثم يعاود الشاعر عبد الرحمن بن حسان التشبيب برملة بنت معاوية في قوله :

رمل هل تذكرين يوم غزال إذ قطعنا مسيرنا بالتمني
إذ تقولين عمر الله هل شيء وإن جل يسليك عني

(١) أدب السياسة في العصر الأموي ص٢٩٧.
(٢) الكامل ج١ ص١٧٤ لأبي العباس المبردوت ٢٨٥ هـ مطبعة الأستقامة بالقاهرة د . ت .
(٣) المسنون : المصبوب علي استواء .

أم هل طمعت يـابن حسـان في ذا ك كما قد أراك قد أطعمت مني

" وكان معاوية واسع الحلم أغضي عن شاعر الأنصار لمكانتهم ولحرمتهم ، ولكنه لم يغـض عـن شاعر آخر تغزل بابنته . هو أبو دهبل الجمحي [1] فتناوله بسجن وعذاب ومنعه هو و خلفاؤة من بعده دخول الشام وصرف إلي أقاصي اليمن [2] .

ويقول الدكتور / شوقي ضيف " فإن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت كان يهاجي عبـد الرحمن بن الحكم ويتعرض لنساء بني أمية ، وكان ممن تعرض لهن رملة بنت معاوية إذ تغزل فيهـا غزلا مفحشا وبذلك كان أول من اتخذ الغزل سلاحا للهجاء السياسي [3] .

وجاء شاعر الزبير بن عبيد الله بن قيس الرقيات ، فاصطنع الغزل بامرأة عبد الملك ابن مروان عاتكة بنت يزيد بن معاوية ، وبامرأة الوليد بن عبد الملك ابن البنين بنت عبد العزيز بـن مروان في مقدمه في عاتكة[4] .

بـدت لي في أترابهـا فقتلـني كذلك يقـتلن الرجـال كـذلكا
نظـرن إلينـا لوجـوه كأنمـا جلون لنا فـوق البغـال لبائكـا
إذا غفلت عنا العيون التي تـري سلكن بنا حيث اشتهين المسـالكا
وقالت : لو انا نستطيع لذاركم طبيبـان منـا عالمـان بـدائكا[5]
ولكن قومي أحدثوا بعد عهـدنا وعهدك أضغانا كلفـن بشـانكا

ويتمادي ابن قيس الرقيات في غزله الكيدي نكاية في خصومه الأمويين ، فأكثر من التعـرض في شعره لعاتكة زوج عبد الملك وأم البنين زوج الوليد بن عبد الملك كلما أقدم علي مدح أميـره مصعب بن الزبير واتخذ من هذا الغزل جسرا يعبر عليه إلي مديح ابن الزبير .

يقول الدكتور / طه حسين " لم يكن عبيد الله بن قيس الرقيات شريرا ولا سيء الدخيلة وإنما كان – مع الخصومات السياسية التي اندفع فيها اندفاعا شديداً – محبا لقومه ، يؤثرهم علي الناس جميعا ويحرص علي كرامتهم أشد الحرص .

ومن هنا تظهر في غزله الهجائي خصلة جميلة ، دقيقة مؤثرة ، لانجدها عند غـيره مـن الهجائين السياسين : وهي أنه كان يخاصم الرجال دون النساء ، وكان يتخذ النسـاء وسـيلة إلي حرب الرجال ، فكان يحرص الحرص كله علي ألا يؤذيهن او يذيع بينهن الفاحشة كذبا وزورا. بل

---

(١) لأبو دهبل : هو وهب بن ربيعه من بني جمح وكان شاعر محسناً وأكثر أشعاره في عبد الله بن عبـد الـرحمن الأزرق والي اليمن .

(٢) الأغاني ١٤٩/٦: ١٦٥ وانظر الأشراء والسجن في شعر العرب ص٣١٤.

(٣) العصر الإسلامي ص٢٥٩ .

(٤) ديوان ابن قيس الرقيات ص١٢٨ تحقيق د/ محمد يوسف نجم دار صادر بيروت سنه ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨م.

(٥) يريد الطبين : رسولين ويريد بالحداء الحب : الذي في نفس عاتكة له .

كان يعني إلي أبعد من هنا ، كان يريد أن يتملق هؤلاء النساء ، وأن يرضيهن عن نفسه ، وأن يحبب إليهن هذا الغزل الهجائي الذي كان يسوء أزواجهن وأبناءهن وعصبتهن بوجه عام [1] .

ومن غزله الكيدي في أم البنين زوج الوليد بن عبد الملك في مقدمة مدحه لابن الزبير قوله [2] .

إن الخليط قد أرفعوا تركيد أزمعوا تركي فوقفت في عرصاتهم أبكي
جنيبة خرجت لتقتلنا مطلية الأقداب بالمسك
قامت تحييني فقلت لها ويلي عليك وويلتي منك

إلي أن يقول :

ياحبذا ام البنين علي ما كان من بذل ومن ترك
إن تسلمي نسلم وإن تدعي الإسلام لا نخذلك في الشرك

وابن قيس الرقيات في غزله هذا لا تستهوية المحبوبة لذاتها ، بل لمكانتها ، وخطورة التصدي لها ، فيمثل التغزل فيها عندئذ نوعا من التحدي . كما في قوله في أم البنين [3] .

ألا هزأت بنا قرشية يهتز موكبها رأت ثيبة في الرأس مني ما أغيبها
ومثلك قد لهوت بها قام الحسن اعيبها
لها بعل غيور قاعد بالباب يحجبها
يرابني هكذا أمشي فيوعدها أو يضربها

ثم يقول :

فذع هذا ولكن جا جة قد كنت أطلبها
إلي أم البنين متي يقربها مقربها؟
أتتني في المنام فقلت هذا حين أعقبها
فلما أن فرحت بها ومال علي أعذبها
شربت بريقها حتي نهلت وبت أشربها
وبت ضجيعها جذلا ن تعجبني وأعجبها
فكانت ليلة في النو م نسمرها ونلعبها

وهذه الرغبة التي يعبر عنها الشاعر يرضي شهوته في الأنتقام من خصومه بني لأمية أكثر مما يقضي بها حق فنه ، فهو لا يتحدث عن وجد الحب ولوعته ، ولا يصور نفسا حساسة معذبة ، تحكي قصة حب ، أو تعبر عن وصال أو صد ، أو تصف شكوي قلب .

---

(١) حديث الأربعاء ج١ ص٢٤٦ .

(٢) ديوان ابن قيس الرقيات ص١٤١ .

(٣) ديوانه ص١٢١.

ثم يقول أيضا في أم البنين [1] :

أم البنين سلبتني حلمي ... وقتلتني فتحملي إثمي
وتركتني أدعو الطبيب وما ... لطبيبكم بالداء من علم
باالله يا أم البنين ألم ... تخش عليك عواقب الإثم
لله درك في ابن عمك إذ ... زورته سقما علي سقم
وتركته يمشي وليس له ... عقل يعيش به مع الحزم
جنية الأعلي وأسفلها ... وحل مؤزره من اللحم[2]
وبوجهها ماء الشباب ولم ... تقبل بملعون ولاجهم
لم تدر مائده الجمال ولم ... تربق بربق أول البهم

ويقول الدكتور / طه حسين – في تفسيره لتغزل ابن قيس الرقيات بنساء خصومه الأمويين : " كان يخاصم بني أمية ، فتغزل بأم البنين امرأة الوليد بن عبد الملك وبنت عبد العزيز بن مروان ، يريد من غير شك أن يغيظ عبد الملك وإبن الوليد وأخاه عبد العزيز وغيرهم من رجالات بني أمية ، ولكنه لم يكن يريد أن يسوء أم البنين ولا أن يؤذيها ولا أن يعرضها لمكروه سمعه أو تلقاه ، بل كان يريد أن يتلطف لها ويتحبب إليها وان يترل شعره من نفسها مترلة الرضا والإعجاب " [3]ولذلك نراه في شعره يكثر من ذكر أم البنين طمعا في إرضائها وهو يخاصم أباها وعمها وزوجها : فيقول[4] :

أصحوت عن أم البنين ... وذكرها وعنائها
وهجرتها هجر امريء ... لم يقل صفو صفاها
قرشية كالشمس أشـ ... رق نورها ببهائها
زادت علي البيض الحسا ... ن بحسنها ونقائها
لما اسبكرت للشبا ... ب وقنعت بردائها[5]
لم تلتفت للداها ... ومضت علي غلوائها
لولا هوي أم البنيـ ... ن وحاجتي للقائها
قد قربت لي بغلة ... محبوسة لنجائها

(١) ديوانه ص١٤٩ .

(٢) وحل : لين طوي . مؤزره : ماعظي بالإزار .

(٣) حديث الأربعاء ج١ ص ٢٤٦ .

(٤) الديوان ص٥٣ .

(٥) اسبكرت : اعتدلت واستقامت .

وام البنين خليقة أن تتيه بهذا الجمال الذي أحدث في نفس الشاعر ما أحدث حتي ملك عليه يومه ونومه فيقول :[٤]

قد تولي الحمي فانطلقا ... واستطارت نفسه شفقا
من عين تمنح الأرقا ... ولهم حادث طرقا
غادروا لا د ر درهم ... حين راحوا جؤذرا خرقا
وحلا في اللحم منزرها ... عبقا بالطيب مختلفا
قد تمنينا رزيارته ... لو أتانا الزور منسرقا
لقضينا من لبانته ... إنما يشتاق من عشقا
أسلموها في دمشق كماء ... أسلمت وحشية وهقا
لم تدع أم البنين له ... معه من عقله رمقا

وابن قيس الرقيات في غزله الكيدي يحاكي بعض شعراء ما قبل العصر الأموي في غزلهم الكيدي لكنه يخالفهم في أمور منها :

١ــ إنه قدم غزله الكيدي للمدح ، وهم كانوا يقدمون به للفخر والهجاء .

٢ــ إنه أبعد غزله عن الحقيقة ، إذ زعم أنها رؤيا لا حقيقة ، وهم لم يفعلوا ذلك .

٣ــ الاقتراب من البناء القصصي المبني علي هيئة قصة ، فنجد روح الشاعر القصصي والقصة الشعرية متمثلة في كثير من نماذج شعر الغزل الكيدي عند ابن قيس الرقيات من خلال اعتماده الحوار ، وحكاية الأحداث ، وتصوير الحالات النفسية للشاعر .

يقول الدكتور / طه حسين – " وبلغ من هذا الغزل الهجائي مالم يبلغه أحد من شعراء العصر الأموي . فلم يكن يكتفي بالنسيب المألوف يذكر فيه المرآة التي يريد أن يهجو أهلها كما كان يفعل العرجي ، وإنما كان يتخيل القصص والأخبار فيقصها في شعره مسرفا في تفصيلها إسرافا شديدا[١] .

٤ــ الحيرة التي تعتري القاريء لهذا اللون من الغزل عند ابن قيس الرقيات في الحكم علي عاطفة الشاعر يقول الدكتور / طه حسين – " هذا الغزل الهجائي الذي يكاد ابن قيس الرقيات يكون مبتدعه خليق بالعناية .. ولكنه شديد الخطر .. لأنه يلبس عليك أمر الشاعر ويجعل حكمك علي عاطفته عسيراً جداً . فأنت لا تكاد تتبين أجاد هو في غزله أم لاعب ؟ أمادح صاحبته لأنه يحبها أم لأنه يكره أهلها ؟ وأنت مضطر إلي تنظر إلي هذا الغزل من حيث هو فن مجرد من النفسية الصادقة للشاعر ومن عواطفه الحقيقية [٢]

---

(١) حديث الأربعاء ج١ ص ٢٤٦ .

(٢) المرجع السابق ص٢٤٧ .

وأخيرا فإن ابن قيس الرقيات قد حقق عن طريق الغزل الكيدي كل ما كان يريده فقد صال وجال بشعره ضد عبد الملك بن مروان وبني أمية وعبث بخصومه السياسيين . فأهدر عبد الملك بن مروان دمه وتوعد من يؤويه .

ويؤكد هذا قول الدكتور / طه حسين – وقد وصل ابن قيس الرقيات من هذا الغزل الهجائي إلي كل ما كان يريده فأحفظ بني أمية عليه أشد أحفاظ حتى هدروا دمه ، وأبرءوا ذمتهم ممن آواه ... ولكنه أرضي أم البنين عن نفسه ، وبلغ منها مبلغا حسنا ، حتي شفعت له وكسبت له أمان عبد الملك [1] .

ولم يقتصر الغزل الكيدي علي التعريض بنساء السلطان وشريفات القوم ، بل اتسعت دائرته ليشمل غيرهن ، فتناول شعراؤة الأمراء للعداوة السياسية والمنافسة علي المنصب وتغزلوا في نسائهم ، ولم ينج أشدهم بطشا من هذا التعريض المسيء فتغزل أبو غير الثقفي بأخت الحجاج بن يوسف ، وهام علي وجهه في الأرض [2] .

واستغل العرجي [3] هذا السلاح من الغزل أيما استغلال عند ما سجنه عدوه أمير مكة محمد بن هشام المخزومي وكان غزله السوط اللازع الذي صبه الشاعر علي خصمه وهو في سجنه حتي مات [4] .

وأول ما جر علي العرجي المصائب حين تعرض لزوجة محمد بن هشام واسمها جبرة المخزومية فقال فيها [5]

عوجي علي فسلمي جبر فيم الصدود وأنتم سفر
لا نلتقي إلا ثلاث مني حتي يفرق بيننا النفر
الحول بعد الحول يتبعه ما الدهر إلا الحول والشهر

كما شبب بجيداء أم محمد بن هشام ، لا لمحبة كانت بينهما ، ولكن أراد أن يغيظ ابنها يهينه ، ويفضحه ، وجيداء من بني الحارث بن كعب ، ومما قاله فيها [6] :

عوجي علينا ربة الهودج إنك إن لا تفعلي تحرجي
إني أتيحت لي يمانية إحدي بني الحارث من مذحج
نلبث حولا كاملا كله ما نلتقي إلا علي منهج

(١) المرجع نفسه .
(٢) يتصرف الأسر والسجن في شعر العرب ص٣١٤ وانظر الأغاني ٢٦/٦ والفرج بعد الشدة ص ٣٧١ للتوخي
(٣) هو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أبي أمية بن عبد شمس كان من الشعراء الفرسان في جبس مسلمة عبد الملك بأرض الروم توفي : ١٢٠هـ .
(٤) الأسر والسجن في شعر العرب ص ٣١٤ .
(٥) ديوان العرجي ص٢٣٢ تحقيق سجيع الجبيلي طبعة صادر بيروت ١٩٩٨م.
(٦) الديوان ص١٩١:١٨٩ .

في الحج إن حجت وماذا مني وأهلـه إن هي لم يحجج

أيسر ما نال محب لدي بين حبيب قوله عرج

ولم يزل محمد بن هشام يتطلب علي العرجي العلل وقد حانت الفرصة وهو وال لمكة ، فأخذ العرجي فحبسه وقيده وضربه ضربا مبرحا ... وظل في حبسه تسع سنوات إلي أن مات في السجن [١] ومن الشعراء الذين تناولوا في شعرهم الغزل الكيدي ولم يسلم منهم الأمراء الشاعر الأحوص [٢]وذكر في الأغاني إنه كان يشيب بنساء ذوات أخطار من أهل المدينة ، ويتغني بشعره معبد ومالك ، ويشيع ذلك في الناس ، ونهي فلم ينته "[٣] .

" وكان الأحوص فاسفاماجنا مخنثا ، كما سماه عبد الملك بن مروان ، وكان يهجو أشراف الأنصار وقريش ويتغزل بنسائهم ، وكان هذا هو السبب الحقيقي في أنه كان يكره ابن حزم عامل سليمان بن عبد الملك علي المدينة ويهجوه هجاء صريحا قبيحا ..[٤].

ولذا كتب أمير المدينة أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم في شأنه يطلب من الأشراف إلي سليمان بن عبد الملك أو إلي عمر بن عبد العزيز ، فأمر بجلده وتقييده وتغريبه إلي دهلك[٥] لحبس فيها .

فنفذ الأمر علي أقبح صورة واغلظها ، وطال بقاء الأحوص سجينا منفيا ، ولم تجد فيه شفاعة قومه الأنصار [٦] .

وعلي الرغم من حرص قومه علي إطلاق سراحه وشفاعتهم له لدي عمر بن عبد العزيز إلا أنه كما يقول طه حسين :" كان ثقيلاً علي قومه يتخذ . هجاءهم وسيلة إلي اللهو والعبث ويتخذ نساءهم موضوعا للغزل ، يعف فيه حينا ويفحش فيه حينا آخر ، فلما ولي الأمر يزيد بن عبد الملك عفا عنه وأكرمه وأحسن صلته [٧] .

ولم يقف الحوص في غزله الكيدي عند نساء الأشراف من الأنصار وقريش . وإنما تعرض لنساء أخريات ومنهن " أم جعفر ، كان الأحوص يشبب بأم جعفر أمرأة من الأنصار من بني خطمة ، وهي أم جعفر بنت عبد الله بن عرفطه ، ولم يكن له بها سابق معرفة ومن ذلك قوله [٨].

---

(١) محسن الشعراء والأدباء ص٩٥ د / يحي الجبوري .

(٢) هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن أبي الأقلح من الأوس فهو حفيد صحابي جليل هو عاصم بن ثابت حمي الدبر : ٣٥ : ١١٠هـ عده ابن سلام في الطبقة السادسة من شعراء الأسلاك .

(٣) الأغاني ٤٨/٤ لأبي الفرج الأحبيهاني .

(٤) حديث الأربعاء ج١ ص٣١٥ .

(٥) دهلك : جزيرة بين بلاد البن والحبشة .

(٦) الأسر والسجين في شعر العرب ص ٣١٥ .

(٧) حديث الأربعاء ج١ ص ٢٦٢ .

(٨) مختار الأغاني ج٢ ص٣٠٥ تحقيق عبد الستار فراج الدار المصرية للتأليف – القاهرة سنه ١٣٨٥هـ – ١٩٦٥م.

وإني ليـــدعوني إلي أم جعفـــر وجاراتها من ســاعة فأجيـنـب
وإني لآتي البيـــت مـــا إن أحبـــه وأكثر هجر البيت وهو حبيب

ثم يقول :

وما زلت من ذكراك حتي كأنني أهـــيم بأفنـــاء الـــديار ســـليب
أثبك مـــا ألقـــي وفي القلـــب حاجة لها بين جلدي والعظام دبيب
لك الله إني واصـــل واوصـــلتني ومـــثن بمـــا أوليـــتني ومثيـــب
وآخذ ماأعطيت عفـــوا وإنـــني لأزدود عمـــا تكـــرهين هبـــوب
فلا تتركي نفسي شـــعاعا فإنهـــا من الوجد قد كادت عليك تذوبه

" ولما أكثر من ذكر أم جعفر جاءت إليه متنقبة — مدعية عليه في حق لها عليه — فإجتمع النـــاس وقالوا له : اقض حقها ، فجعل يحلف أنه لايعرفها ، ولا رآها قط ، فكشفت عن وجهها وقالـــت ياعدو الله : والله صدقت ، ومالي عليك من حق ولا تعرفني فأنا أم جعفر ، وأنت تقول : قلت لأم جعفر ، وقالت أي أم جعفر ، فخجل الأحوص وبرئت أم جعفر عندهم [1] .

ولم يكن الباعث علي الغزل الكيدي في العصر الأموي الخصومة السياسية فحسب ، وإنما كانت العصبية القبلية أيضا لها دور بارز في هذا اللون من الغزل من ذلك ما ذكره أبو الفـــرج في أغانيه : " إن رجلا من بني سلول يقال له مزاحم بن عمرو ، كان يرمي بامرأة ابن الدمينـــة التيمي ، فكان يأتيها ويتحدث إليها حتي اشتهر ذلك فمنعه ابن الدمينة من إتيانها فقـــال مـــزاحم يذكر ذلك :

يابن الدمينة والأخبـــار يرفعهـــا وحد النجائب والمحقـــور يخفيهـــا
يابن الدمينة إن تغضب لما فعلت فطال خزنك أو تغضب مواليهـــا
أو يبعضوني فكم من طعنة نفـــذ يغذو خلال اختلاج الجوف غاذيها

ومزاحم في هذه الأبيات يصرح بعداوته لبني تيم قوم ابن الدمينة ، ويلج في عـــدائهم ، ويبغـــي فضيحتهم ، ويسطو علي نسائهم ، ويشهر بامرأة ابن الدمينة ، ويذكر علامـــات في جســـمها ، ويصور ما كان معها من مغامرات فاضحة ، فهو يقول متباهيا ومتبجحا بما أتي من منكر :

أغشي نساء بني تيم إذا هجعت عني العيـــون ولا أبغـــي مقاريهـــا
كم كاعب من بني تيم قعدت لها وعانس حين ذاق النـــوم حاميهـــا
كعقدة الأعسر العلوف منتحيا متينة من متـــون النبـــل ينحيهـــا
وشهقة عند حس الماء تشـــهقها وقول ركبتها قض حـــين تثنيهـــا
علامـــة كيـــة مـــابين عانتـــها وبـــين ســـبتها لاشـــل كاويهـــا

(١) بتصرف المرجع السابق ج٢ ص ٥٣٧ : ٥٣٨ .

ولما بلغ ابن الدمينة شعر مزاحم ، أتي امرأته فقال لها : قد قال فيك هذا الرجل ماقال ، وقد بلغك ، قالت : والله مارأي ذلك مني قط ، قال : فمن أين له العلامات ؟ قالت : وصفهن له النساء ، قال : هيهات والله أن يكون ذلك كذلك ... ثم أعاد عليها القول : ، وأعادت عليه الحلف ، أن ذلك مما وصفه له النساء ، فقال لها : والله لتن لم تمكنيني منه لأقتلنك ، فعلمت أنه سيفعل ذلك ، فبعثت إليه وواعدته ليلا ، وقعدله ابن الدمينة وصاحب له ، فجاءها للوعد ... فدخل فاهوي بيده ليضعها عليها ، فوضعها علي ابن الدمينة ، فوثب عليه هو وصاحبه ، وقد جعل له حصي في ثوب فضرب بها كبده حتي قتله ، وأخرجه فطرحه ميتا ، فجاء أهله فاحتملوه ، ولم يجدوا به أثر السلاح ، فعلموا أن ابن الدمينة قتله [1]

ثم أتي ابن الدمينة امرأته ، فطرح علي وجهها قطيفة ، ثم جلس عليها ، حتي قتلها ، فلما ماتت قال :

إذا قعدت علي عرنين جارية فوق القطيفة فادعولي بحفاد

فبكت بنية له منها ، فضرب بها الأرض فقتلها ، وقال متمثلا : لا تتخذ من كلب سوء جروا [2]

خامسا : السمات الفنية للغزل الكيدي :

بعد رحلة التطواف علي قصائد ومقطوعات الغزل الكيدي في الشعر الأموي التي قام عليها هذا البحث ، يبقي أن يكشف في هذا الحيز أظهر خصائص الغزل الكيدي وأبرزها ومن هذه الخصائص :

أ ـ كثير من الغزل الكيدي الذي جاء في مقدمات قصائد الهجاء والفخر يمثل البداية الحقيقية لفن النقائض في الشعر العربي منذ العصر الجاهلي ، ففي هذه البيئة الحافلة بالعصبية القبلية والمعارك والأيام تنفست النقيضة أنفاسها الأولي.ومن ذلك ما جاء في قصتي قيس بن الخطيم وعبد الله بن رواحة ، وقد تقدم الحديث عنهما .

ب – خلو هذا الغزل من العاطفة ، والعاطفة لغة الغزل ، وصاحب الغزل الكيدي لا ينطبق عن عاطفة صادقة ، لأن هذا الشعر ليس ترجمانا عن همسات القلوب ، وأشجان النفوس وأحاديثها ، وإنما هو شعر يمتلأ بالغزل الفاضح ويفيض بالبعث بالخصوم ويتخذ الشاعر من هذا الشعر وسيلة إلي اللهو والسياسة ، فيذكر نساء خصومه بما يحسن وبما لا يحسن .

وهذا مما أقربه الدكتور / طه حسين – في حديثه عن ابن قيس الرقيات وغزله الهجائي فيقول : " هذا الغزل الهجائي ، الذي يكاد ابن قيس الرقيات يكون مبتدعه ، خليق بالعناية ، فهو لون من الألوان الجديدة التي استحدثها الشعراء المسلمون ، ولكنه شديد الخطر من جهة أخري ، لأنه يلبس عليك أمر الشاعر ويجعل حكمك علي عاطفته عسيرا جداً ، فانت لاتكاد تتبين أجاد هو

(١) الأغاني ١٧/ /٩٩ : ١٠١

(٢) المرجع السابق ١٠٢/١٧ .

في غزله أم لاعب ؟ أمادح هو صاحبته لأنه يحبها أم لأنه يكرهها ؟ وأنت مضطر إلي أن تنظر إلي هذا الغزل من حيث هو فن مجرد من النفسية الصادقة للشاعر ومن عواطفة الحقيقة [1]

ومن ذلك شعر عبد بني الحسماس يصور نزوعه إلي المرأة واشتهاءه لها ومنه [2]

وبتنا وسادانا إلي علجانة وحقف تهاداه الرياح تهاديا
توسدني كفاو تثني بمعصم علي وتحوي رجلها من ورائيا
وأشهد عند الله أن قد رأيتها وعشرين منها إصبعا من ورائيا
أقبلها للجانبين وأتقي بها الريح والشفان من عن شماليا

وسحيم لايقول ذلك الشعر إلا انتقاما من أسياده . ويستهين بكل ما يلقاه في سبيل هذا القول مكابرة وهزءً بأسياده لا يكف عنهم لسانه .

ج – الغزل الكيدي ضرب من الغزل التقليدي وليس لونا من الألوان الفنية الجديدة كما يقول الدكتور / طه حسين – وانما الجديد فيه مسماه فقط . ليس علي الشاعر فيه إلا أن يسبك الألفاظ ويغير علي المعاني أو يخترقها أختراقا فنياً . لأنه لا أصل له في نفسه ، فلا تجد فيه نفسا متئلمة تشكو حرمان طاغياً ولا أملاً ضائعاً ولا حزنا باكيا مثلما يجد في شعر العذريين وفيما تقدم ذكره من النماذج يكشف عن خلوها من هذه الخاصة .

د – ضعف الصراع وخفوت حدته في الغزل الكيدي وهذه نتيجة طبيعية لأن قائله لم يصدره عن عاطفة صادقة وإنما صادر عن رغبة جامحة تنطلق من أعماقة كما تنطلق السوام ولأن الغرض منه التشهير والكيد بخلاف الغزل العذري الذي يبرز من قابلة الصراع العنيف الذي يملأ نفوس العذريين بالحيرة والقلق والأضطراب .

يقول قيس أبن الملوح مصورا هذا الصراع بين اليأس الذي يميته والأمل الذي يحييه :

ألقي من اليأس تارات فتقتلني وللرجاء بشاشات فتحييني

هـ – بعض قصائد الغزل الكيدي تقترب في أسلوب من البناء الدرامي وتبدو فيها روح الشاعر القصصي ومن تلك القصائد قصيدة ابن قيس الرقيات التي تعرضت له فيها أم البنين وفيها يقول [3] :

أصحوت عن أم البنين ن وذكرها وعنائها
وهجرها هجر أمريء لم يقل صفو صفائها
قرشية كا لشمس أشرق نورها ببهائها
ذات كا لبيض الحسا ن بحسنها ونقائها

(١) حديث الأربعاء ج١ ص٢٤٧ .

(٢) ديوانه محيم ص ١٩

(٣) ديوان أبن قيس الرقيات ص١٧٥ .

لمـــا اســـبكرت للشـــبا ب وقنعـــت بردائهـــا
لم تلتفـــت للـــداها ومضـــت علـــي غلوائهـــا
لـــولا هـــوي أم البنيـــ ن وحـــاجتي للقائهـــا
قـــد قربـــت لي بغلـــة محبوســـة لنجائهـــا

وأبن الرقيات لم يكتف بالغزل المألوف يذكر فيه المرأة التي يريد أن يهجو أهلها كما كان يفعل غيره من شعراء هذا الغزل وإنما يتخيل القصص وينسج الأخبار فيقصها في شعره مسرفا في تفاصيلها اسرافا شديدا كما في قصيدته التي ذكر فيها أم البنيين ذكرا مفصلاً تفصيلا من شأنه أن يؤذي ويسيء ولكنه إحطاط لنفسه ولأم البنيين فزعم أن هذه القصة الطويلة المفصلة أنما وقعت له في المنام فكرامة البنين موفورة وهي خليقة أن تتيه بهذا الجمال الذي احدث في نفس الشاعر ما احدث حتي ملك عليه يومه ونومه وإذ فليس علي الشاعر نفسه لوم إذا أغرق في الرقاد [1] .

والقصيدة التي ذكر فيها أم البنين وجعلها مقدمه لمدح مصعب ابن الزبير يقترب الأسلوب وفيها من البناء الدرامي ، وتظهر فيها روح القصصي ، وقد بدأها الشاعر بقوله :[2]

ألا هـــزأت بنـــا قرشـــيته يهتـــز موكبـــها
رات بي ثيبـــة في الـــرأ س مـــني مـــا اغيبـــها
فقالـــت ابـــن قـــيس ذا ؟ وغـــير الشـــيب يعجبـــها

ثم يقول :

إلي أم البـــنين مـــتي يقربهـــا مقربهـــا
فقالـــت أبـــن قـــيس ذا ؟ وغـــير الشـــيب يعجبـــها
أتـــتني في المنـــام فقلـــت هـــذا حـــين اعقبـــها
فلمـــا أن فرحـــت بهـــا ومـــال علـــي أعـــذبها
شـــربت بريقهـــا حـــتي نهلـــت وبـــت أشـــربها

إلي أن يقول :

فكانـــت ليلـــة في النـــو م نمرهـــا ونلعبـــها
فأيقظنـــا منـــاد في صـــلاة الصـــبح يرقبـــها
فكـــان لطيـــف مـــن جنيـــة لم يـــدر مذهبـــها
يؤرقنـــا إذا نمنـــا ويبعـــد عنـــك فســـربها

(١) بتصرف حديث الأربعاء ج١ ص ٢٤٦ ومابعدها .
(٢) ديوان بن قيس الرقيات ص ١٢١: ١٢٤

و – سهولة الألفاظ ورقتها ونأيها عن الغرابة ، مع قوة الأسر ، كذلك الأمر بالنسبة للجملة الشعرية ، لانعدم فيها جودة الصنعة وحسن السبك وجمال الأسلوب في الوقت الذي اقتربت فيه الجملة الشعرية من لغة الكلام العادية وهذا واضح في كثير من شعر ابن قيس الرقيات في أم البنين كقوله[1] :

وحـــلا في اللحـــم مئـــزره عبقـــا بالطيـــب مختلفـــا
قـــد تمنينـــا زيارتـــه لو أتانـــا الـــزور منســـرقا
لقضـــينا مـــن لبانتـــه إنما يشـــتاق عـــن عشـــقا
أســـلموها في دمشـــق كمـــا أســـلمت وحشـــية وهقـــا
لم تـــدع أم البنـــين لـــه معـــه مـــن هقلـــه رمقـــا

ويشيد الدكتور / طه حسين بغزل ابن قيس الرقيات فيقول :[2] " ماذا تريد أن أقول لك في هذا الشعر ؟ وهل تعرف أعذب منه لفظا وأجود منه معني وأخف منه روحاً

ز – قلة المحسنات البديعية ، لم يأبه الشاعر في هذا الضرب من الغزل كثيراً بشـيء مـن هـذه المحسنات ، ولم يتكأ عليها طويلا في تزيين أسلوبه ، أو تحسين إيقاع ألفاظه ، لأنه شعر منطلق ، لم يعول قائله علي الموسيقي الداخلية ، باستثناء تشابه التقفية بحيث تكون محطات صوتيه تصـنع في الكلام نوعا من التوازن الموسيقي ، وهو كثير لوروده في الغزل الكيدي وقل أن تخلو منه قصيدة . وقد يلجأ بعض شعرائه أحيانا إلي الجناس الاشتقاقي لتوكيد المعني وتقوية الموسيقي كما في قول ابن قيس الرقيات[3] :

وهجرتهـــا هجـــر امـــريء لم يقـــل صـــفو صـــفائها

وقول العرجي[4] :

في الحج إن حجت ومـــاذا مـــني واهلـــه إن هـــي لم تحجـــج

أما الموسيقي الخارجية التي عمادها عروض الخليل بن أحمد وبحور الشعر العربي ، اعتمد الشعراء في كثير علي البحور ذات الأوزان المجزوءة وخاصة ابن قيس الرقيات ، وكان يعمد أحيانا إلي التدوير في بعض قصائده ، للتوزيع الموسيقي وتخفيف رتابه الأشطر وأخيرا :ينم الغزل الكيدي الذئ تناوله هذا البحث عن نفسيه قائله الذي يستبطن خصومه لدودة ، أو حرمانا حارقا ، وقـد جسـدهما الشعراء في الرؤي أو أحلام اليقظة صوراً متكاملة ، تشع قبساً كشافا لمكنونات النفس في تعـبير فطري .

---

(١) ديوان ص٥٢ : ٥٣ أسلموها في دمشق كما أسلمت وحشية وهقا.

(٢) حديث الأربعاء ج١ ص٢٥٢ .

(٣) ديوان ابن قيس الرقيات ص١٧٥ .

(٤) ديوان

واستمداد الشاعر مادة شعره من الحديث عن المرأة في هذا الضرب من الغزل ، ليثير حفاظ الرجال ، وعلا نفوسهم حنقا وغيظا ، ولإدراكه لمكانه المرأة عند العرب ، وشدة الغيرة عليها في ذلك الوقت .

ولذا كان الغزل الكيدي علي صلة مباشرة بأحداث العصر التي تقع في محيط ، " ويقوي أثر هذا الدافع بمقدار تحسس الحاكم والمجتمع به ، وتقل أهميته في البيئات المنطلقة ، ومن ثم نري أثره لا يجاوز مطلع العصر العباسي ، وهو أقوي في البوادي والقبائل منه مجتمعات المدن المتفدقة [1] .

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا

وصلي الله علي خير خلقه سيدنا محمد وعلي أهله وصحبه وسلم

د / علي جاد الحق سعيد

---

[1] الأسر والسجن في شعر العرب ص٣١٩

ثبت المصادر والمراجع

أولا : المراجـــع :

- أدب السياسة في العصر الأموي د / أحمد الحوفي .
- أسماء المغتالين لابن الهاشمي ت ٢٤٥ هـ تحقيق عبد السلام هارون مصر ١٣٧٤هـ .
- إعراب المعلقات العشر جـ١ محمد الدرة مكتبة الوادي جدة الطبعة الثانية سنه ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
- الأسر والسجن في شعر العرب د / أحمد مختار البرزة مؤسسة علوم القرآن . دمشق الطبعة الأولي سنه ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
- الأغاني الأجزاء ٢، ٤، ٦ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢١ – لأبي الفرج الأصبهاني دار الكتب المصرية .
- الحياة العربية من الشعر الجاهلي د / أحمد الحوفي – الطبعة الثالثة د . ت .
- الشعر الجاهلي د / يحيي الجبوري مؤسسة الرسالة الطبعة الثالثة : سنه ١٣٨٩٩هـ ١٩٧٩م.
- الشعر العربي في القرن الأول الهجري د / مصطفي هدادة دار العلوم بيروت الطبعة الأولي سنه ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨م..
- الشعر والشعراء لابن قتيبة ت ٢٧٦ هـ تحقيق د / مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت سنه ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
- العصر الإسلامي د / شوقي ضيف دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة عشرة .
- العصر الجاهلي د / شوقي ضيف دار المعارف بمصر الطبعة الثامنة
- الغزل القصصي في شعر ذي الرمة د / علي جاد الحق حدائق القبة سنه ١٩٩٨م.
- بحوث ومقالات أحمد الشايب مكتبة النهضة المصرية د . ت .
- تاريخ آداب اللغة العربية جـ ١ جورجي زيدان طبعة دار الهلال القاهرة .
- تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي د / يوسف خليف دار الثقافة بالقاهرة سنه ١٩٧٦ م.
- تيارات معاصرة في الشعر الجاهلي د / سعد دعبيس دار الثقافة بالقاهرة سنه ١٩٨٠م.
- ثمار القلوب في المصاف والمنسوب للثعالبي ت "٤٢٩ هـ " تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مصر سنه ١٩٦٥م.

حديث الأربعاء جـ ١ د / طه حسين دار المعارف بمصر سنه ١٩٥٤م.

خصائص الأدب العربي أنور الجندي دار الاعتصام الطبعة الثانية سنه ١٣٩٥هـ - سنه ١٩٧٥م.

عيون الأخبار جـ ٣ كتاب النساء لابن قتيبة تعليق د / مفيد قميحة دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الثالثة سنه ١٤٢٤هـ - سنه ٢٠٠٣م.

فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان للواقدي طبعة وليم ناسو ١٨٦٠م.

مختار الأغاني اختيار ابن منظور جـ ٨ تحقيق حسين نصار - الدار المصرية للتاليف والنسر مطبعة الحلبي سنه ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م.

مختار الأغاني جـ ٢ تحقيق عبد الستار فراج الدار المصرية القاهرة سنه ١٣٨٥هـ - سنه ١٩٦٥م.

محن الشعراء والأدباء د / يحي الجبوري دار الغرب الإسلامي الطبعة سنه ٢٠٠٣/ بيروت .

مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني د / بكري شيخ أمين دار العلم للملآيين بيروت الطبعة الثانية سنه ١٤١٧هـ - سنه ١٩٩٦م.

معجم الأدبيات الشواعر محمد الحسن الحموي تحقيق يوسف الدقاق دار الثقافة العربية دمشق الطبعة الأولي سنه ١٤١٦هـ -سنه ١٩٩٦م.

ثانيا :_ الدواوين :

ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي تحقيق مجيد طراد دار الكتاب العربي بيروت الطبعة الأولي سنه ١٤١٥هـ -سنه ١٩٩٤م.

ديوان حسان بن ثابت - تحقيق سيد حنفي حسنين - نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب .

ديوان سحيم تحقيق عبد العزيز المسيمني القاهرة سنه ١٩٦٥م.

ديوان عبد الله رواحة تحقيق د / وليد قصاب دار الفكر بالرياض سنه ١٤٠١هـ -١٩٨١م.

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات تحقيق محمد يوسف نجم دار صادر بيروت سنه ١٣٧٨هـ -١٩٥٨م.

ديوان العرجي تحقيق سجيح جميل الجبيلي دار صادر بيروت ١٩٩٨م.

ديوان قيس بن الخطيم تحقيق تحقيق د / ناصر الدين الأسد مكتبة العروبة بمصر . سنه ١٣٨١هـ -١٩٦١م.